الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم

المدرسة الإماراتية

2022-2023

اللّغةُ العربيّةُ

كتابُ النّصوصِ

الصف
09

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ

كِتابُ النّصوصِ

الصّفُّ التّاسِعُ

الطّبعة السابعة 1443 - 1444 هـ / 2022 - 2023 م

رسالةٌ إلى الطالب

«يجبُ أنْ يكونَ الكتابُ فأسًا للبحرِ المتَجَمِّدِ فينا»
(كافكا)

عزيزي الطالب،

هذا كِتابٌ صُمِّمَ ليكون رفيقًا لك وصديقًا؛ ستجد فيه النصوص المقرَّرة في كتاب الأنشطة اللغويّة، ونصوصًا أخرى رديفة، في كُلِّ فنّ من فنون القول: القُرآن الكريم، والحديث الشريف، والنّصوص الأدبيّة، ونصوص الرّأي، والنّصوص المعلوماتيّة. وهو دعوةٌ منّا لتكون القراءةُ طَقسًا من طقوس حياتك اليوميّة، تجد لها متّسعًا من الوقت، فتخلو فيه بكتابٍ تقرؤه بحريّة، وتبحر في عوالمه بهدوء وسلام.

إنّ التّحرّر من نمطِ الحياةِ المقيّدةِ بالدروسِ المقرّرة والاختباراتِ إلى الحياة المنفتحة على الثقافة والمعرفة بكلِّ أشكالِها وألوانِها هو الّذي سيمنحُك أدواتِ نجاح راسِخةً وممتدّة ومتناميةً وهو الّذي سينير بصيرتَك لترى الحياةَ أكبَرَ بكثير من مجرّد مدرسة وصفٍّ ودرس. إنّنا نحثّك على أن تجعل للقراءة في هذا الكتاب وكتبٍ أخرى وقتًا تقتطعه من يومك، ولو كان قصيرًا، ونشجّعك على أنْ تجعلَ لقراءاتك في هذا الكتاب والكتب الأخرى صدى في حياتِك، فتتحدّث عنها مع أصدقائك وعائلتك، وتكتبُ عنها على صفحاتك الشخصيةِ في مواقِع التواصل الاجتماعيّ؛ فكلُّ هذا سيُسهمُ إسهامًا ملموسًا في بناءِ شخصيّتك، وتعزيز ثقتِك بنفسِك، وتزويدك بمفاتيح النجاح الدائم المستمر.

عزيزي الطالب،

إنّ القراءة، وقراءة الأدب على وجه الخصوص، تساعد المرء على أن يكونَ أكثر فهمًا للحياة والناس، وأوسع أفقًا، وإنّ هذا النوع من القراءة هو الّذي يجعل الإنسان أكثر تواضعًا وتسامحًا وذكاءً. إنّ كلّ قصة أو رواية تقرؤها هي بمثابة بوابة تُفتح لك لتُبْصِرَ الحياة بتفاصيلها الصغيرة، تلك الّتي قد لا ننتبه لها ونحن نمارس واجباتنا اليوميّة، ونغدو ونروح مع الغادين والرائحين. إنّ هذه البوّابة هي الّتي تجعلك تستقرّ في قلوب الكثيرين من الناس، أولئك الذين تُكتبُ عنهم القصصُ، وتحكي حكاياتِهم الرواياتُ، فتعرف ما لم تكن تعرف، وتدرك ما لم يكن خطر لك على بال.

عزيزي الطالب،

إنّ قراءة الأدب تشبه الدخول في مرآة سحريّة كبيرة، تكشف لك وجوهًا لا نهاية لها للحياة، لفعل الزمان في الإنسان، وللإنسان في ضعفه وقوّته، في صدقه وكذبه، في عزّه وذلّه، في أنانيّته وظلمه، في رقّته وقسوته في أحزانه وأفراحه، وآلامه وأحلامه. وكلما انفتح كتابٌ بين يديْ قارئٍ في مكانٍ ما، في زمانٍ ما، استطالت مرآةٌ سحريةٌ أمامه ليرى ما لم يكن يرُى، ويكشِفَ ما كان سيبقى محجوبًا للأبد لولا لحظة تبصُّرٍ قادته إلى أن يُمسِك بين يديه قصة أو روايةً ستجعلُه بعد أن يقلبَ الصّفْحة الأخيرة فيها يزداد يقينًا أنّ الخلود لا يكون إلا للخير والحق والجمال.

نرجو لك رحلةً ممتعةً ومفيدةً مع اللغةِ العربية.

الفهرس

يتم تعريف المحتوى على تطبيق التعلم الذكي

* القُرآنُ الكريمُ والحديثُ الشّريفُ 9
» القُرآنُ الكريمُ 11
» أحاديثُ شريفةٌ 13
* النّصوصُ الأدبيّةُ 15
– الشِّعرُ 17
» الشِّعرُ الجاهليُّ 19
◊ غَذَوْتُكَ مولودًا – أُميّة بن أبي الصّلت 21
◊ وَصيَّةُ أبٍ – عَبْدَةُ بنُ الطّبيب 22
» الشِّعرُ في عصرِ صدرِ الإسلامِ والعَصرِ الأمويِّ 23
◊ قال المُقنّع الكندي 27
◊ قال الصَّلتان العبدي 28
◊ قال يزيد بن الحكم الثّقفي يَعِظُ ابنه بَدْرًا 29
» الشِّعر في العصرِ العبّاسي 31
◊ قال أبو الطّيبِ المُتَنبّي 33
◊ قال أبو فراس الحمداني 34

ملاحظة:

النّصوص المعالجة في كتاب (التطبيقات اللّغويّة) تجد عناوينها مظلّلة باللّون الرّمادي.

وزارة التربية والتعليم
MINISTRY OF EDUCATION
معتمد
محتوى هذا الكتاب معتمد
من وزارة التربية والتعليم

» الشّعرُ العربيُّ الحديثُ 35
◊ لن أبكي – للشاعرة فدوى طوقان 39
◊ خواطِرُ الغُروبِ – للشّاعرِ إبراهيم ناجي 41
◊ قال محمود سامي البارودي 42
» الحركةُ الشِّعريّةُ في دولةِ الإماراتِ العربيّةِ المُتّحدة 43
◊ ذكرى جَدّتي – جَمال بن حويرب 45
◊ قال كريم معتوق 46
– القِصَّةُ القصيرةُ 47
» القِصَّةُ القصيرةُ 49
◊ الدَّرْسُ الأَخيرُ – (ألفونسو دوديه) 53
◊ المُناوَرَةُ – مُحَمَّد مُسْتَجاب 61
◊ مُفَتِّشُ المَدارسِ – (م. آثار طاهر) 65
◊ العباءةُ – عائشة خلف الكعبي 75
◊ قِصَّةُ العَـمِّ خَشَبَةٍ – مريم السّاعدي 79
◊ الحَصّالَةُ – د. أحمد زياد محبّك 83
◊ جدار – شريف الجهني 87
◊ النائبات.. حين تؤاخي – للكاتب الأمريكي: (أو. هنري/ O. Henry) 89
◊ يومٌ منَ التّرقّبِ – للكاتب الأمريكي: (إرنست همنجواي) 95
– أدبُ السّيرِ والرّحلاتِ 99
» السّيرةُ الأدبيّةُ 101
◊ تَعَلَّمْتُ مِنْ أَوقاتِ الفَراغِ – عبّاس محمود العَقّاد 103
◊ رحلةُ ابنِ بطّوطةَ إلى الصّينِ 107
◊ تجاربي مع الحقيقة – (المهاتما غاندي) 109
◊ رحلة إلى شمال إفريقيا – القنطرة – (أندريه جيد) 111

❋ نصوصُ الرّأي 113
– المَقالاتُ 115
» المقالةُ 117
◊ إشاراتٌ يُرْسِلُها الشُّهَداءُ – الدكتورة فاطمة الصايغ 119
◊ 2016 التَّعليمُ ثُمَّ التَّعليمُ – د. خالد الخاجة 123
◊ في حياةِ طفلةٍ – جميلة البشري 127
◊ اتركْ بصمةَ إنجازِكَ – شيخةُ المسكريّ 131
– الأعمدةُ الصّحفيّةُ 135
» العَمودُ الصّحفيُّ 137
◊ العربُ تسبَّبوا في غيابِ شَمْسِهم! – فاطمة المزروعي 139
◊ السّعادةُ لا تضلُّ طريقَها – ناصر الظّاهري 141
◊ رسالةٌ ساميةٌ – مريم مسعود الشّحي 143
❋ النّصوصُ المعلوماتيّةُ 145
» النّصوصُ المعلوماتيّةُ 147
◊ رؤيةٌ مُستقبليّةٌ للقِطاعِ السّياحيِّ – جريدة الاتّحاد 149
◊ قِطارُ المستقبلِ من أبوظبي إلى لندن – د. إبراهيم الدرمكي 153
◊ مَملكةُ الفِطريّاتِ 157
◊ تنميةُ التّفكيرِ – محمد محمود العلي 161
◊ تطوير الذات – محمد بن علي شيبان العامري 165

القُرآنُ الكريمُ والحديثُ الشَّريفُ

القُرآنُ الكريمُ

قالَ اللّهُ تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

(سورة لُقمان)

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أحاديثُ شريفةٌ

حديث "لا تغضب"

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي اللّهُ عنهُ- قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: مُرْنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: «لاتَغْضَبْ»، قَالَ: فَمَرَّ، أَوْ فَذَهَبَ، ثُمَّ رَجَعَ، قَالَ: مُرْنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: «لا تَغْضَبْ»، قَالَ: فَرَدَّدَ مِرَارًا، كُلَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ فَيَقُولُ: «لا تَغْضَبْ».
* وفي روايةٍ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: مُرْنِي بِأَمْرٍ وَلاَ تُكْثِرْ عَلَيَّ حَتَّى أَعْقِلَهُ، قَالَ: «لا تَغْضَبْ»، فَأَعَادَهُ عَلَيْهِ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ: «لا تَغْضَبْ».
* وفي روايةٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لاتَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لا تَغْضَبْ». قَالَ الرّجلُ ففكّرْتُ حينَ قالَ النّبيُّ ﷺ ما قالَ فإذا الغضبُ يجمعُ الشَّرَّ كُلَّهُ.

(أخرجَهُ البُخاريُّ)

* قالَ ﷺ: «ما مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في مِيزانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وإنَّ اللَّهَ ليُبْغِضُ الفاحِشَ البَذِيءَ».
* قالَ ﷺ: «إنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الخُلُقِ دَرَجَةَ الصّائِمِ والقَائِمِ».
* قالَ ﷺ: «حُسْنُ الخُلُقِ هو طَلاقَةُ الوَجْهِ، وَبَذْلُ المَعْروفِ، وَكَفُّ الأَذى».

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

النّصوصُ الأدبيّةُ

الشِّعرُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشِّعرُ الجاهليُّ

الشِّعر الجاهلي هو الشِّعر العربي الذى قيل قبل الإسلام، وقد تميّز العرب عن سواهم من الأمم الأخرى بصفاء القريحة وملاءمتهم بين بيئتهم وخيالهم وتأملهم، فكانوا أشعر الأمم. فالبادية بيئة الشِّعر الجاهليّ، ولذلك كان الشِّعر مرآة لهذه الحياة البدويّة القاسية الخشنة، يصف الأطلال والديار والانتجاع والظعن والفلاة والحيوان والمعارك وآبار المياه.

لقد كان الشِّعر ديوان حِكَمِ العرب وعلومهم، وَسِجلّ وقائعهم وسيرهم، ومادّة حوارهم، يرتجلونه؛ ليعبّروا عما يختلج في صدورهم من عواطف وهموم. والشِّعر الجاهلي شعر غنائيّ ذاتيّ يصور نفسية الشّاعر وأحاسيسه، سواء أكان يتغزل أم يفخر أم يمدح أم يهجو أم يرثي أم يعاتب أم يعتذر أم يصف. لقد كان الشِّعر يُنشد إنشادًا أو يُغَنّى غناءً، فالغناء كان أساس تعلم الشعر ومن أساليب التّعبير عنه.

وتظهر موسيقى الغناء في وزن القصيدة وحرف رويّها (قافيتها) الموحد؛ فإن كان حرف الرّوي (القافية) في القصيدة (الباء) تسمّى القصيدة (بائية)، وإن كان حرف الرّوي في القصيدة (الدّال) تسمّى القصيدة (دالية)، وإن كان حرف الرّوي في القصيدة (نونًا) تسمّى القصيدة (نونية).

وقد تبوأ الشّاعر الجاهلي مكانة مرموقة في عصره فكان لسان قبيلته، كما لعبت الأسواق الموسمية الكبرى دورًا مهمًا في التعريف بالشعراء ونقل أشعارهم بين القبائل الأخرى. فالأسواق لم تكن للبيع والشراء فحسب، بل كانت -أيضًا- للخطابة والشِّعر، ومن أهم هذه الأسواق: سوق عكاظ، وهي سوق في صحراء بين نخلة والطائف شرق مكة، وكانت تستمر عشرين يومًا، وسوق ذي المجاز قرب يَنْبُعٍ، ويَنْبُعُ ثَغْرُ مدينة الرّسولﷺ، وسوق ذي المجنة قرب مكة.

ويذهب المؤرّخون إلى أن النّابغة الذُّبياني كان من المُحَكِّمين، تقام له في هذه الأسوق قُبّة، يذهب إليها الشّعراء؛ ليعرضوا شعرهم عليه، فمن أشاد به ذاع صيتُهُ وتناقلت شِعره الرُّكبان.

والشِّعر الجاهلي شعر مَرْويّ لم يُدوّن إلا في أوائل القرن الثاني للهجرة، وهذا ما يفسر

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ضياع أغلبه. فالكثير من رواته ذهبت بهم حروب الفتح، وأوفر هذه القصائد حظًّا من الحفظ هي المعلّقات أو المذهّبات، وقدُ عدّت المُعلّقات من أفضل ما وصلنا من العصر الجاهلي. ويزعم أغلب المؤرخين أنها سبع قصائد اختارتها العرب فكتبتها بماء الذهب، ثُمَّ علّقتها على الكعبة إعجابًا بها، وأصحابها هُمْ: امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعنترة بن شداد، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلِّزة.

وتتناول القصيدة الجاهليّة مجموعة من الموضوعات والعواطف المختلفة في بناءٍ ينقسم إلى ثلاثة أقسام، إذ يستهل الشّاعر القسم الأول بالبكاء على الديار القديمة (الوقوف على الأطلال) الّتي رحل عنها، وترك فيها ذكرياته، ثُمَّ التّغزّل بالمحبوبة، أي التّشْبيب، وهوَ ينقسم إلى قسمين: غزل عفيف، يدور حول بثّ الشوق واللوعة، وغزل حسّي، يصف جمال المرأة: شعرها وعنقها وجبينها وعينها وأسنانها وطولها.. كما يصف ثيابها وزينتها وعفّتها، ثُمَّ ينتقل الشّاعر إلى وصف ظُعنِها، أي ترحالها مع قبيلتها إلى مكان آخر بحثًا عن الماء والكلأ.

والقسم الثاني هو الرحلة، يصف فيه الشّاعر رحلته ووسيلة تنقله، وكل ما تقع عليه عيناه في الصحراء من حيوان وزواحف وطير، والمصاعب الّتي تعترضه، والفلاة الّتي يقطعها ليبيّن شجاعته وبأسه.

والقسم الثالث هو الغرض الرئيس في القصيدة، وهو إِمّا فخر أو مدح أو رثاء أو هجاء أو عتاب أو اعتذار أو حكمة.

فالفخر فخر بالقبيلة وبالنفس، وهو من مُقوّمات الحياة القبليّة، يفخر فيه الشّاعر بالنّسَبِ والشجاعة والكرم والإسراع إِلى معونة الآخرين، والمدح هو ثناء على الممدوح وفضائله ومآثره، ويغلب على أهل البادية كما نرى ذلك عند امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى، ومدح للتكسّب يغلب على أهل الحضر كما نرى عند النابغة الذبياني والأعشى، والرثاء هو مديح الميت، يصف فيه الشّاعر الجاهلي المرثي بجميع الصفات الّتي يصف بها الممدوح، والهجاء عكس المدح يوصف فيه المهجوّ وقبيلته بِضعة النّسب والجُبن والبخل، أمّا الحكمة، فهي قول موجز مشهور، يتضمن معنًى مسلمًا به، ويعبّر عن خُلاصة تجارب صاحبها في الحياة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

غَذَوْتُكَ مولودًا

أُميّة بن أبي الصّلت

1 غَذَوْتُكَ مَوْلودًا وَعُلتُكَ يافِعًا تُعَلُّ بما أُدْنِي عَلَيْكَ وتَنْهَلُ

2 إذا ليلةٌ نابَتْكَ بالشَّكْوِ لم أَبِتْ لِشَكْواكَ إِلّا ساهرًا أَتَمَلْمَلُ

3 كأنّي أنا المطروقُ دونَكَ بالَّذي طُرِقْتَ بِهِ دوني وَعَيْنيَ تَهْمُلُ

4 تَخافُ الرَّدَى نَفْسِي عليكَ وإِنّها لَتَعلَمُ أنَّ الموتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ

5 فلمّا بَلَغْتَ السِّنَّ والغايةَ الّتي إليها مَدَى ما كُنْتُ فيكَ أُؤَمِّلُ

6 جَعَلْتَ جَزائي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلْظةً كأنّكَ أنتَ المُنعِمُ المُتَفضِّلُ

7 فليتكَ إذْ لم تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتي فَعَلْتَ كما الجارُ المُجاوِرُ يَفْعَلُ

8 وسَمَّيْتَني باسْمِ المُفَنَّدِ رأيُهُ وفي رَأْيِكَ التّفنيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

9 تَراهُ مُعِدًّا للخِلاَفِ كأنَّهُ بِرَدٍّ علَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وَصيَّةُ أبٍ

عَبْدَةُ بنُ الطّبيب

أَبَـنِـيَّ إِنّــي قَـد كَـبِـرتُ وَرابَـنـي ... بَـصَـري وَفِـيَّ لِمُصلِحٍ مُستَمتَعُ

فَلَئِن هَلَكْتُ لَقَد بَنَيتُ مَساعِيًا ... تَـبـقى لَـكُـم مِـنـهـا مَـآثِـرُ أَربَـعُ

ذِكـرٌ إِذا ذُكِـرَ الـكِـرامُ يَزينُكُم ... وَوِراثَــةُ الـحَسَـبِ الـمُـقَـدَّمِ تَنفَعُ

وَمَـقــامُ[1] أَيّــامٍ لَـهُـنَّ فَضـيـلَـةٌ ... عِندَ الحَفيظَةِ وَالمَجامِعُ تَجمَعُ

وَلُهىً مِـنَ الكَسبِ الَّـذي يُغنيكُمُ ... يَومًا إِذا اختَصَرَ النّفوسَ[2] المَطمَعُ

وَنَصيحَةٌ في الصَّدرِ صـادِرَةٌ لَكُمْ ... ما دُمتُ أُبصِرُ في الرِّجالِ وَأَسمَعُ

أوصـيـكُـمُ بِـتُـقـى الإِلَــهِ فَـإِنَّـهُ ... يُعطي الرَّغائِبَ مَن يَشاءُ وَيَمنَعُ

وَبِـبِـرِّ والِـدِكُـم وَطـاعَـةِ أَمـرِهِ ... إِنَّ الأَبَــرَّ مِـنَ البَنـيـنَ الأَطــوَعُ

وَدَعوا الضَّغينَةَ لا تَكُنْ مِنْ شَأنِكُم ... إِنَّ الـضَّـغـائِـنَ لِـلـقَـرابَـةِ تُوضِعُ[3]

واعصوا الَّذي يُزجي النَّمائِمَ بَينَكُم ... مُـتَـنَـصِّـحًـا ذاكَ الـسَّـمـامُ المُنقَعُ

وَلَقَد عَلِمتُ بِـأَنَّ قَصري[4] حُفرَةٌ ... غَـبْـراءُ يَحمِلُني إِلَـيـهـا شَرجَعُ[5]

فَبَكى بَناتي شَجوَهُنَّ وَزَوجَتي ... وَالأَقـرَبـونَ إِلَــيَّ ثُـمَّ تَـصَـدَّعـوا

إِنَّ الـحَـوادثَ يَـختَـرِمْـنَ وَإِنَّـمـا ... عُـمـرُ الفَتى فـي أَهـلِـهِ مُـسـتَـودَعُ

1. مَقامُ: منزلةٌ حسَنةٌ.
2. اختَصَرَ النُفوسَ: سَيْطَرَ عَلَيْها.
3. تُوضِعُ: تَسْري، تَعْدو، تَنْتَشِر.
4. قَصْري: آخِر أَمري.
5. الشَّرْجَعُ: النّعشُ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشِّعرُ في عصرِ صدرِ الإسلامِ والعَصرِ الأمويِّ

ظَلّ الشِّعر في عهد الرّسول ﷺ جاهليًا في شكله[1]، فشعر طبقة المُخضرمين الّتي عاشت في الجاهلية، وأدركت الإسلام ككعب بن زهير، والحطيئة، ومعن بن أوس، والنابغة الجعدي استمرارٌ للمذهب الجاهلي، ولم يتأثر شعرها بالإسلام إلا في بعض موضوعاته. وبعد أن دانت قريش وسائر العرب للدّين الجديد قَلَّ الهجاء المقذع والمدح المبالغ فيه والغزل الصريح والفخر بالخمر وبالثأر؛ لأن الرّسول ﷺ نهى عن الشِّعر الّذي يثير الأحقاد والعصبيات، أو يشجّعُ على ارتكاب الفاحشة.

وقد انتهج الخُلفاء الرّاشدون نهج الرّسول ﷺ؛ فقد روي أن الخليفة عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه- حبس الشّاعر الحطيئة حين أقذع في هجائه للزّبرقان بن بدر، ولما طلب منه الحطيئة العفو؛ لأن حَبْسَه حال دون الاهتمام بأولاده، عفا عنه، وَخَلّى سبيلهُ على ألّا يهجو أحدًا من المسلمين.

وكثر رثاء الشّهداء والإشادة بالإسلام ومدح الرّسول الكريم ﷺ. ومن روّاد هذا الفن الشّاعر حسّان بن ثابت الملقب بشاعر الرّسول، فقد كان يمدح الرّسول ﷺ ويردّ عنه هجاء المشركين، وقد كثرت في شعره التعابير الإسلامية والاقتباس من القُرآن الكريم، ومن ذلك قوله:

هَجَوْتَ مُحَمّدًا فَأَجَبْتُ عنهُ ... وعندَ اللّهِ في ذاكَ الجزاءُ
أَتَهجوهُ وَلَسْتَ لهُ بِكُفءٍ ... فَشَرُّكما لخيركُما الفداءُ
هَجَوْتَ مُبارَكًا بَرًّا حنيفًا ... أمينَ اللّهِ شيمتُهُ الوفاءُ

كما اشتهر كعب بن زهير بلاميته «بانت سعاد» الّتي أعلن فيها إسلامه، وطلب فيها رضا الرّسول ﷺ وعفوه، والتي يقول في مطلعها:

1) – راجع عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، ط 4، (بيروت: دار العلم للملايين، 1981)
– راجع أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 8 (بيروت: دار المعرفة، 2004)

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مَتْبولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَها لَمْ يُفْدَ مَكْبولُ

فعفا عنه الرّسولﷺ وأهداهُ بردتَهُ، فما زالَتْ في أهلِهِ حتّى اشتراها مُعاويةُ منهم، وتوارثَها الخلفاءُ الأمويّون فالعبّاسيّون حتّى آلَتْ معَ الخلافةِ إلى بَني عُثمانَ.

أمّا في العصر الأمويّ فقد عادتْ بعضُ أغراضِ الشِّعرِ الّتي نهى عنها الرّسولُﷺ -كالنقائضِ- وهيَ قصيدةٌ «يردُّ بها شاعرٌ على قصيدةٍ لخصمٍ له فينقضُ معانيها عليه، يقلبُ فَخْرَ خصمِهِ هجاءً، وينسبُ الفخرَ الصّحيحَ إلى نفسِهِ هوَ. وتكونُ النقيضةُ عادةً منْ بَحْرِ قصيدةِ الخصمِ، وعلى رَويّها»، وقد ارتبطتْ هذهِ النقائضُ بالصّراعاتِ السّياسيّةِ بينَ الأحزابِ المُتنازعةِ على الخلافةِ ومُناصريها، فكانتْ وقودَ العصبيّاتِ، ولسانَ هذهِ الأحزابِ، يفتخرُ الشّاعرُ فيها بنفسهِ وبقومهِ وبفضائلِهم، كالكرمِ والشّجاعةِ والوفاءِ بالعهدِ، والانتصارِ في الحروبِ الّتي خاضوها، والدّفاعِ عنِ العِرْضِ، ثُمَّ ينقّبُ عنْ مثالبِ خصمهِ وقومهِ منْ بُخْلٍ وجُبْنٍ وفسقٍ وبَغْيٍ وطُغيانٍ، ومنْ أشهرِ شعراءِ هذا الفنِّ جريرٌ، والأخطلُ، والفرزدقُ.

بالإضافةِ إلى النّقائضِ، ازدهرَ الغزلُ في العصرِ الأمويِّ بعدَ أنْ هُذِّبَ في عصرِ صدرِ الإسلامِ الأوّلِ، وبعدَ أنْ كانَ تشبيبًا بالدّيار، وبُكاءً على الأطلالِ، أصبحَ فنًّا مستقلاً بذاتهِ، يُصوّرُ مشاعرَ الحُبِّ الّتي سكبَها المجتمعُ الجديدُ في نفوسِ الشّعراءِ. فبعدَ أنْ تحضرّتْ مَكّةُ والمدينةُ، وغرِقَتا في البَذْخِ والتّرفِ نتيجةِ الفُتوحاتِ الإسلاميّةِ، وجلبِ الرّقيقِ الأجنبيِّ، وتعليمهِ الغناءَ والموسيقى، رقيت الأذواق، فَلانَ الغَزَلُ، ورَقَّ.

وانقسمَ الغَزَلُ إلى: غَزَلٍ عُذريٍّ، وغَزَلٍ صريحٍ. والغَزَلُ العُذريُّ نِسْبةً إلى رائدهِ جميلِ بنِ مَعمر العُذري (مجنون بثينة)، وهوَ غَزَلٌ عفيفٌ طاهرٌ نقيٌّ، من روادهِ: قيس بن الملوح (مجنون ليلى)، وقيس بن ذريح (مجنون لبنى)، وكُثَيِّر عزة (مجنون عزّة)، وذو الرمة (مجنون ميّة)، وعروة بن حزام (مجنون عفراء)، وتوبة بن الحميّر (مجنون ليلى الأخيلية). فالشّاعر العذري يقصر حبه وشعره على معشوقة واحدة، يرى فيها سعادته وشقاءه، لا يني يتغنى بها مُتذلّلًا مُتضرّعًا يصوّرُ فيها كَلَفَهُ وعَذابهُ وحُبّهُ الّذي لا يتغير مع مرور الزمن.

ومن روّاد الغزلِ الصّريحِ (الإباحيِّ الحسيِّ) عمر بن أبي ربيعة، والأحوص، والعرجيّ، ولا يلتزم فيه الشّاعر بحب امرأة واحدة، بل يتّبع الجمال أينما كان، فيتغزل بأكثر من امرأة،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ويصف مفاتنها ومغامراته معها، وقد يصف مجموعة من النّساء. وقد رُوِي أن عمر بن ربيعة كان يتعرض للحواجّ، فيشبب بالحرائر الجميلات، ويصفهن طائفات محرمات، فزهدت الأسر في أداء الفريضة خشية منه، مما جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز ينفيه إلى (دهْلك) إحدى جزر البحر الأحمر بين بلاد اليمن والحبشة ولم يعد إلا بعد أن أقسم أن يتوب.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قال المُقنّع الكندي

1 يُعاتِبُني في الدَّيْنِ قَوْمِي وَإِنَّما دُيُونيَ في أَشياءَ تُكْسِبُهُمْ حَمْدا

2 أَلَـمْ يَرَ قَومي كَيفَ أُوسِـرُ مَـرَّةً وَأُعسِرُ حَتّى تَبْلُغَ العُسْرَةُ الجَهْدا

3 فَما زادَنـي الإِقـتـارُ مِنهُم تَقَرُّبًا وَلا زادَني فَضلُ الغِنى مِنْهُمُ بُعْدا

4 أَسُـدُّ بِـهِ مَا قَد أَخَـلُّوا، وَضَيَّعوا ثُغُورَ حُقوقٍ ما أَطاقوا لَها سَدَّا

5 وَإِنّ الَّـذي بَيني وَبَينَ بَني أَبي وَبَينَ بَني عَمِّي لَمُختَلِفٌ جِدَّا

6 أَراهُـمْ إِلى نَصْري بِطاءً وَإِنْ هُمُ دَعَـوْنـي إِلـى نَصْرٍ أَتيتُهُمُ شَـدّا

7 فَإِنْ يَأكُلوا لَحمي وَفَرْتُ لُحومَهُمْ وَإِنْ يَهْدِموا مَجْدي بنيتُ لَهُم مَجْدا

8 وَإِنْ ضَيَّعوا غَيْبي حَفِظْتُ غُيوبَهُمْ وَإِنْ هُمْ هَوَوا غَيّي هَويْتُ لَهُمْ رُشْدا

9 وَإِنْ زَجَروا طَيْرًا بِنَحسٍ تَمُرُّ بي زَجَرْتُ لَهُم طَيرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدا

10 وَإِنْ قَطَعوا مِنّي الأَواصِـرَ ضِلَّةً وَصَلْتُ لَهُم مِنّي المَحَبَّةَ وَالوُدّا

11 وَلا أَحمِلُ الحِقدَ القَديمَ عَلَيهِمُ وَلَيسَ كَريمُ القَومِ مَنْ يَحمِلُ الحِقدا

12 لَهُمْ جُلُّ مالي إِن تَتابَعَ لي غِنًى وَإِنْ قَلَّ مالي لَم أُكَلِّفْهُمُ رِفْدا

13 وَإِنّـي لَعَبْدُ الضَيفِ ما دامَ نازِلًا وَما شيمَةٌ لي غَيرُها تُشبِهُ العَبْدا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قال الصَّلتان العبدي *

أشابَ الصّغيرَ وأَفْنى الْكبيرَ ... كَرُّ الغَداةِ وَفَرُّ العَشِي

إذا ليلةٌ هرَّمَتْ يومَها ... أتى بعدَ ذلكَ يومٌ فتي[1]

نروحُ ونغدو لحاجاتِنا ... وحاجةُ مَنْ عاشَ لا تنقضي

ويسلبُهُ المَوْتُ أثوابَهُ ... ويمنعُهُ الموتُ ما يشتهي

تموتُ مَعَ المَرْءِ حاجاتُهُ ... وَتبقى لَهُ حاجَةٌ ما بَقي

إذا قُلْتَ يومًا لِمَنْ قدْ تَرى ... أَرُوني السَّرِيَّ أَرَوْكَ الغني[2]

أَلَمْ تَرَ لُقمانَ أَوْصى ابْنَهُ ... وَأَوْصَيْتُ عَمْرًا فَنِعْمَ الوَصي[3]

بُنَيَّ بدا خُبْءُ نجوى الرّجالِ ... فَكُنْ عِنْدَ سِرّكَ خبْءَ النّجي[4]

وَسِرُّكَ ما كانَ عندَ امرئٍ ... وَسِرُّ الثّلاثةِ غيرُ الخفي

كما الصَّمْتُ أدنى لِبعضِ الرَّشادِ ... فبعضُ التَّكَلُّمِ أَدْنى لِغي[5]

---

* ديوان الحماسة 2/ 56-57

1. هرمت: أضعبت.
2. السري: الشريف.
3. عمرًا: ولد الشاعر. وهنا يوصيه كما أوصى من قبل لقمان الحكيم ابنه.
4. الخبء: ما يخبأ. والنجوى: ما يتناجى به إثنان من الأسرار.
5. الغي: الضلال، وهو بخلاف الرشاد.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قال يزيد بن الحكم الثّقفي يَعِظُ ابنه بَدْرًا *

يا بَـدْرُ والأمـثـالُ يضربُها ... لِـذي الـلُّـبِّ الحكيمُ[1]

دُمْ لِـلـخـلـيـلِ بِـــوُدِّهِ ... مـا خـيـرُ ودٍّ لا يـدومُ

واعْـــرِفْ لِـجـارِكَ حقَّـهُ ... والـحـقُّ يـعـرفـهُ الـكـريـمُ

واعْـلَـمْ بـأنَّ الـضّـيـفَ يو ... مًـا سـوف يَـحْـمـدُ أَوْ يَلومُ

والـنّـاسُ مُـبْـتَـنِـيـانِ محـ ... ـمـودُ الـبـنـايـةِ أَوْ ذمـيـمُ

واعـــلـــمْ بُـــنَـــيَّ فـإنَّـهُ ... بِـالـعـلـمِ يـنـتـفـعُ الـعـلـيـمُ

إنَّ الأمـــــورَ دقـيـقُـهـا ... مـمّـا يـهـيـجُ لـه الـعـظـيـمُ

والـتَّـبْـلُ مـثـلُ الـدَّيـنُ تُقـ ... ـضـاهُ وقـد يُـلـوى الغريمُ[2]

والـبـغْـيُ يـصـرعُ أهـلَـهُ ... والـظُّـلْـمُ مـرتـعُـهُ وخـيـمُ

ولـقـد يـكـونُ لـكَ البعيـ ... رُأخًـا ويـعـطـيـكَ الحميمُ

والـمـرءُ يُـكْـرَمُ لِـلْـغِـنـى ... ويُـهـانُ لـلـعـدمِ الـعـديـمُ

قـد يُـقْـتِـرُ الـحـولُ الـتَّـقِـيُّ ... ويَـكـثـرُ الـحـمِـقُ الأثيمُ[3]

يُـمـلـي لِـــذاكَ ويُـبـتـلـى ... هـذا فـأيُّـهُـمـا الْمَضيمُ[4]

والـمـرءُ يبخلُ فـي الحقو ... قِ ولـلـكـلالـةِ مـا يُسيمُ[5]

---

* ديوان الحماسة 2/ 46–49.

1. اللب: العقل.
2. التبل: الثأر. والغريم: صاحب الدين.
3. يقتر: يبخل، ويقلّ ماله. والحول: الكثير الحيلة. والأثيم: الكثير الإثم.
4. يملى: يمد في عمره. والمضيم: من أصابه الضرر.
5. الكلالة: من يرث ولا يكون والدًا أو ولدًا. ويسيم: يخرج السائمة للمرعى.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشِّعر في العصرِ العبّاسي

يبدأ العصر العباسيّ بسقوط الدولة الأمويّة في الشام سنة 132 هـ/ 749 م، وقيام دولة بني العباس في الكوفة (العراق)، وينتهي سياسيًا بسقوط بغداد في يد (هولاكو) التتري سنة 656 هـ/ 1258 م. [1]

ويعد عصر الدولة العباسية عصر الإسلام الذهبي الّذي بلغت فيه الدولة الإسلامية أوج ازدهارها الفكري، فنُقلت العلوم الأجنبية، وتنوعت الآداب العربية وتطورت. وخلافًا للدولة الأموية الّتي كانت عربية خالصة متعصبة للعرب لغةً وأدبًا، قاعدتها دمشق على حدود بادية العرب، اصطبغت الدولة العباسية بصبغة فارسية؛ لأن الفُرْسَ هُم الذين أيدوها، فجعلت قاعدتها بغداد أقرب الأمصار إلى بلادهم. فتأثر العرب بعادات الفرس وتقاليدهم ولغتهم، وتمازجوا معهم بالتزاوج والتناسل، وأشرك الخلفاء الموالي (المسلمين من غير العرب) في سياسة الدولة من فُرْسٍ وأتراك وسريان وروم وبربر فضعفت العصبية، وتعددت الفِرَقُ، وتكاثر الجواري والغلمان، والتأنق في الطعام واللباس، والتنافس في البناء والتشييد، كل هذا كان له أثر بيّن في اللغة العربية وآدابها.

وصف الشِّعر العباسي أنّه مُوَلَّدٌ؛ لأن أكثر الشّعراء مولّدين (من أَبَوَيْن أحدهما عربي والآخر غير عربي)؛ ولأن الشِّعر لم يكن عربيًا خالصًا في معانيه وأسلوبه، كما سُمّي شعرًا مُحْدَثًا؛ لأن الشّعراء كانوا جُددًا أو متأخرين.

تأثر الشِّعر بالحياة الحضرية الجديدة مَبنًى ومعنًى وغرضًا ووزنًا، فعلى مستوى المبنى، هُجِرت الكلمات الغريبة، فأصبحت التراكيب واضحة سهلة، وكثر استخدام البديع، وتُرك الابتداء بذكر الأطلال إلى وصف القصور والرياض والخمور والغزل والإغراق في المدح والهجاء.

أمّا على مستوى المعنى، فقد تولدت المعاني الحضرية، واقتبست الأفكار الفلسفية؛ إذ أَكْثَر

1) – راجع أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 8 (بيروت: دار المعرفة، 2004)
– راجع عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: العصور العباسية حتى القرن الرابع هجري، ط 4 (بيروت)، دار العلم للملايين، (1981)

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

شعراء هذا العصر من المُوَلَّدين، وهذا يعلّل وفرة المعاني الجديدة في شعر بشار بن برد وأبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي. وكان لنقل العرب علوم اليونان وغيرهم تأثير في شعر أبي تمام والمتنبي وأبي العلاء المعري وغيرهم بما دخله من آراء علمية وأفكار فلسفية وسياسية.

أمّا أغراض الشِّعر فقد بقيت، واستمرت؛ فالفخر والمديح والغزل والرثاء والحكمة والوصف والزهد أغراض قديمة منذ العصر الجاهلي، إلا أن الفخر القبلي القديم تضاءل، وحلَّ محله الفخر بالنفس.

كما انتشرت في المديح معاني الشجاعة والكرم وشرف الأصل، ورقّ الاعتذار، واتّسع فيه العتاب الرقيق، وكثر الزهد والحكمة، وأصبحا فنّين يعالجهما مجموعة من الشّعراء في قصائد أو مُقطّعات. وأصبح الطَّرْدُ (وصف الصيد) بابًا مستقلًا بذاته، ولم يقتصر على الصيد فقط، بل تناول كل ما يتعلق بالحيوان، حتّى وصف «قتال الدِيَكة»، كما أصبح الخمر فنًّا مستقلاً بذاته مع ما يتبع ذلك من آداب المنادمة.

وأمّا على مستوى الوزن، فقد ابتدعت أوزان أخرى، كالمستطيل والممتد، وهما عكس الطويل والمديد، والموشّح والزّجل، والدوبيت والمواليا، ونُظمت المُقطّعات (أبيات معدودة في أغراض محدودة).

ولما انفرط عقد الخلافة، وكثرت الدويلات العربية وغير العربية، باستقلال الولاة في فارس والشام ومصر والمغرب، وجد الشِّعر في غير بغداد تشجيعًا، فازداد ابتكارًا وانتشارًا، فالأمراء مثل الخلفاء يُقَرِّبون الشّعراء، ويعضدونهم.

وما إن انتهى القرن الخامس للهجرة حتّى ذهب جمال الشعر، وفقد تأثيره في النفوس لذهاب المعضدين له من البويهيين والسلاجقة وكثرة الفتن والصراعات، فغاب التوليد والإبداع، وكثر تقليد معاني الأقدمين واستخدام المحسنات البديعية والمبالغة في المدح للتكسب استدرارًا للأكف.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قال أبو الطّيبِ المُتَنبّي

صَحِبَ النّاسُ قَبْلَنا ذا الزَّمانا ... وَعَـنـاهُـمْ مِـنْ شَـأْنِـهِ مـا عَنانا

وَتَـولَّـوا بِـغُـصَّـةٍ كُـلُّـهُـمْ مِنْـ ... ـهُ، وَإِنْ سَـرَّ بَعضَهُمْ أحيانا

رُبّـمـا تُـحْسِـنُ الصّنيعَ لَياليـ ... ـهِ، وَلَـكـنْ تُـكَـدِّرُ الإحسانا

وَكأنّا لَمْ نَـرْضَ فينا بِرَيْبِ الدَّ ... هْـرِ حـتّـى أعـانَـهُ مَـنْ أعـانـا

كُـلّـمـا أَنْـبَـتَ الـزّمـانُ قَـنـاةً ... رَكَّـبَ الـمَـرْءُ في القَناةِ سِنانا

وَمُـرادُ النّفوسِ أصغَرُ مِـنْ أَنْ ... تَـتـعـادى فـيـهِ وَأَنْ تَـتـفـانى

غَـيْـرَ أنّ الفَتى يُـلاقي المَنايا ... كـالِـحـاتٍ، ولا يُـلاقي الهَوانا

وَلَـوَ انَّ الـحـيـاةَ تَبقى لِـحَـيٍّ ... لَـعَـدَدْنـا أَضَـلَّـنـا الشُّـجْـعـانا

وإذا لَـمْ يَـكُـنْ مِـنَ الـمـوتِ بُدٌّ ... فَـمِـنَ العَجْزِ أنْ تَـكـونَ جَبانا

كُلُّ ما لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ في الأَنْـ ... ـفُسِ سَـهْـلٌ فيها إذا هـوَ كانا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قال أبو فراس الحمداني

أوصيكَ بالحزنِ، لا أوصيكَ بالجلَدِ ... جَلَّ المُصابُ عن التعنيفِ والفندِ

إنّـي أجـلـكَ أَنْ تكفى بتعزيةٍ ... عَـنْ خَيرِ مُفْتَقَدٍ، يا خَيرَ مُفتقِدِ

هيَ الرَّزِيَّةُ إنْ ضَنّتْ بِمَا مَلَكَتْ ... منها الجفونُ فما تسخوعلى أحدِ

بي مثلُ ما بِكَ منْ حُزنٍ وَمِنْ جَزعٍ ... وَقَـدْ لجَأتُ إلى صَبْرٍ، فَلَمْ أجِدِ

لمْ يَنْتَقِصْنيَ بُعدي عَنْكَ من حُزُنٍ ... هيَ المواساةُ في قربٍ وفي بعدِ

لأشركنّكَ في الـلأواءِ إن طرقتْ ... كما شركتكَ في النعماءِ والرغدِ

أبكي بدَمعٍ لَهُ من حسرَتي مَدَدٌ ... وَأسْـتَـرِيـحُ إلـى صَـبْـرٍ بِـلا مَـدَدِ

وَلا أُسَــوِّغُ نَفْسي فَـرْحَـةً أبَـدًا ... وقدْ عرفتُ الّذي تلقاهُ من كمدِ

وأمـنـعُ الـنّـومَ عيني أنْ يلمَّ بها ... عِلْمًا بأَنَّكَ مَوْقُوفٌ عَلى السُّهُدِ

يا مُفْرَدًا بَـاتَ يَبكي لا مُعِينَ لَهُ ... أعـانَـكَ اللّهُ بِالتَّسْلِيمِ والجَلَدِ

هَـذا الأسِيرُ المُبَقّى لا فِـدَاءَ لَهُ ... يَفديكَ بالنَّفسِ والأَهْلينَ وَالوَلَدِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشّعرُ العربيُّ الحديثُ

الأدب العربي الحديث[1] هو الأدب الّذي ظهر تاريخيًّا فيما يُطْلَقُ عليه العصر الحديث، هذا العصر الّذي يصعب تحديده حسب الحقب أو الحوادث التاريخية، فالعصر العثماني انتهى في بعض الأقطار العربية بعد الحرب العالمية الأولى عام 1918م، ولم يكن له وجود في أقطار عربية قبل ذلك بقرون. وقد أَوْلى بعض الدارسين أهمية للحملة الفرنسية عام 1798–1801 على مصر وبلاد الشام، وهي حملة استعمارية جلبت معها بعض العناصر الثقافية من مثل المطبعة والصحيفة والمرصد والمكتبة والمسرح والعلماء، وهو ما نبّه الناس في مصر إلى تخلف الواقع وضرورة الانفتاح على العصر، وبناء جيش قوي، شرع في تأسيسه محمد علي، بعد أن سيطر على الحكم بعد جلاء الحملة الفرنسية.

ومن أجل بناء جيش قوي أرسل محمد علي البعثات إلى إيطاليا وفرنسا، وكان رفاعة الطهطاوي مرشدًا دينيًا لطلاب البعثة الرابعة إلى فرنسا، أفاد من هذه الرحلة في ترجمة المعارف المختلفة، وتعرف الفرق بين واقع المصريين وواقع الغربيين. وقد اهتم الخديوي إسماعيل بالحركة العلمية، فأنشأ مدارس للعلوم والهندسة والطب والحرب، واستأنف إرسال البعثات إلى أوروبا، وأسس نظارة المدارس، وعهد إليها أمر التعليم، وأنشأ المكتبة الخديوية، وبنى مدرسة المعلمين، وبسط يد المؤلفين، فنزح إليها الأجانب من أدباء وعلماء، فكان اختلاط هؤلاء بالمصريين سببًا في نهوض اللغة والأدب.

ومهما يكن من أمر فإن الحياة الثقافية والأدبيّة أفادت على نحو غير مباشر من هذه الحركة العلمية الّتي صاحبت إنشاء المدارس المختلفة العامة والمتخصصة لخدمة الجيش، فكان أن ظهرت تيارات فكرية وثقافية مختلفة كان أهمها تيار إحياء التراث لمواجهة النماذج الأدبيّة والفكرية الغربية، وبدا ذلك واضحًا في الشعر؛ إذ مال الشّعراء إلى إحياء النماذج التراثية في العصرين الأموي والعباسي، وبرز من الشّعراء الإحيائيين نخبة في أقطار الوطن العربي على رأسهم محمود سامي البارودي، وضمت هذه النخبة أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران، وإبراهيم اليازجي، والزهاوي، والرصافي في العراق، والأمير عبد القادر الجزائري،

1) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 8 (بيروت: دار المعرفة، 2004)

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وأبـو مسـلم البهلانـي فـي عُمـان.

وتـلا ذلـك جيـل ظـلَّ متعلقًـا بأهـداب الكلاسـيكية، ممـن سُـمّوا بالكلاسـيكيين الجـدد، مـن مثـل الجواهـري، وعمـر أبـو ريشـة، وعزيـز أباظـة، وإبراهيـم طوقـان، ومصطفـى وهبـي التـل، وبـدوي الجبـل، إلـى جانـب شـعراء العصبـة الأندلسـية، وهـم شـعراء المهجـر الجنوبـي.

وقـد نزعـت جماعـة (الديـوان) المؤلفـة مـن عبـاس محمـود العقـاد، وإبراهيم عبـد القـادر المازني، وعبـد الرحمـن شـكري منزعًـا (رومنطيقيًـا) وأعجبـت باللـون الغنائـي الذاتـي واللغـة العصريـة البسـيطة، وقـد دعـت فـي «الديـوان» الّـذي صـدر منـه جـزءان، شـارك فيهمـا العقّـاد والمازنـي سـنة 1921 إلـى الصـدق فـي الإحسـاس والتعبيـر، ونقـدوا المدرسـة الكلاسـيكية الجديـدة، وخاصـة أحمـد شـوقي، وحافـظ ابراهيـم نقـدًا لاذعًـا.

والتقـت جماعـة الديـوان مـع الرابطـة القلميـة فـي مبادئهـا وفـي مفهومهـا للشـعر، وبـدا الجانـب الرومانتيكـي واضحًـا فـي خصائـص الشِّـعر لديهـا، علـى نحـو مـا ظهـر فـي العلاقـة بيـن العقـاد وميخائيـل نعيمـة. ومـن أعـلام الرابطـة القلميـة: جبـران خليـل جبـران، وميخائيـل نعيمـة، ونسـيب عريضـة، وإيليـا أبـو ماضـي، وأميـن الريحانـي، وقـد تأسّسـت الرابطـة القلميـة سـنة 1920 واتّخـذت مـن نيويـورك مقـرًّا لهـا، فثـارت علـى الصـور الشـعرية القديمـة، واسـتخدمت صـورًا رومنطيقيـة جديـدة، ومضاميـن حديثـة، وتأثـرت بالطبيعـة والحريّـة.

هيمنـت (الرومانتيكيـة) علـى السـاحة الأدبيّـة فـي الأقطـار العربيـة خـلال الثلاثينـات والأربعينـات، وقـد ظهـرت ملامـح الحركـة (الرومانتيكيـة) بوضـوح شـديد فـي «جماعـة أبولـو» الّتـي أسّسـها أحمـد زكـي أبـو شـادي، وانضـم إليهـا أعـلام (الرومانتيكيـة) فـي الوطـن العربـي مـن مثـل: علـي محمـود طـه، وإبراهيـم ناجـي، وأبـو القاسـم الشـابي، وأنـور العطـار. وكانـت مجلـة أبولـو(1932–1934) قـد أحدثـت نهضـة شـعرية علـى مسـتوى الشـكل والمضمـون، وظهـرت فيهـا ملامـح التحـول فـي تعـدد القوافـي، وفـي التجديـد فـي المعجـم والصـورة والإيقـاع.

وكان مـن الطبيعـي أن يفجّـر الشّـعراء الشـباب عواطفهـم (الرومانتيكيـة) فـي شـكل جديـد هـو شـكل الشِّـعر الجديـد، أو قصيـدة التفعيلـة؛ لأسـباب فنيـة واجتماعيـة واقتصاديـة وسياسـية ونفسـية بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة متأثريـن بمنجـزات (الرومانتيكيـة) والرمزيـة اللتيـن شـاعتا فـي مرحلـة مـا بيـن الحربيـن العالميتيـن، ممـا مهّـد الطريـق لحركـة الشِّـعر الجديـد أو شـعر التفعيلـة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الّـذي بـدأ شـكليًا فـي اختيـار التفعيلـة بـدل البيـت الشـعري، ثُـمَّ اتجـه وجهـة واقعيـة، قبـل أن تتعـدد أشـكاله وصـوره. ومـن روّاد هـذه المدرسـة: نـازك الملائكـة، وبـدر شـاكر السـيّاب، وعبـد الوهـاب البياتـي، ونـزار قبانـي، وصـلاح عبـد الصبـور، وقـد غلـب علـى الشِّـعر الحديـث قصيـدة التفعيلـة الّتـي أصبـح لهـا أعلامهـا الكبـار فـي وقتنـا الراهـن.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لن أبكي

للشاعرة فدوى طوقان

(أ)

على أطلالِ يافا يا أَحبّائي
وفي فَوضى حُطامِ الدُّورِ بينَ الرَّدْمِ والشّوكِ
وَقَفْتُ، وَقُلْتُ لِلْعَينينْ
قِفا نَبْكِ
على أطلالِ مَنْ رَحلوا، وفاتوها
تُنادي مَنْ بَناها الدّارْ
وَتَنعى مَنْ بَناها الدّارْ
وأنَّ القلبُ مُنسَحِقًا
وقالَ القلبُ: ما فَعَلَتْ بِكِ الأيّامُ يا دارُ؟
وأينَ القاطنونَ هُنا؟
وَهلْ جاءَتْكِ بعدَ النّأيِ، هلْ جاءَتْكِ أخبارُ؟
هُنا كانوا، هُنا حَلموا، هُنا رَسموا مشاريعَ الغَدِ الآتي
فأينَ الحُلْمُ والآتي؟ وأينَ هُمو؟
وَلَمْ يَنطِقْ حُطامُ الدّارْ
وَلَمْ يَنطِقْ هُناكَ سِوى غيابِهِمو وَصَمْتِ الصّمْتِ والهِجرانْ
وكانَ هُناكَ جَمْعُ البومِ والأشباحْ
غَريبَ الوَجْهِ واليَدِ واللِّسانِ، وكانْ
يُحَوِّمُ في حواشيها
يَمُدُّ أصولَهُ فيها
وكانَ الآمِرَ النّاهي
وكانَ... وكانْ
وَغصَّ القلبُ بالأحزانْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

(ب)

أَحِبّائي
مَسَحْتُ عنِ الجُفونِ ضَبابَةَ الدَّمْعِ الرَّماديّةْ
لِأَلقاكُمْ، وفي عَيْنَيَّ نورُ الحُبِّ والإيمانْ
بِكُمْ، بالأرضِ، بالإنسانْ
فَواخَجلي لَوَ انّي جِئْتُ ألقاكُمْ
وَجَفني راعِشٌ مَبلولْ
وَقلبي يائِسٌ مَخذولْ
وَها أنا يا أَحِبّائي هُنا مَعَكُمْ
لِأَقْبِسَ مِنْكُمو جَمْرَةْ
لِآخُذَ يا مَصابيحَ الدُّجى مِنْ زَيْتِكُمْ قَطْرَةْ
لِمِصباحي
وَها أنا يا أَحِبّائي، إلى يَدِكُمْ أَمُدُّ يَدي
وَعِنْدَ رؤوسِكُمْ أُلقي هُنا رَأْسي
وَأرفَعُ جَبْهَتي مَعَكُمْ إلى الشّمسِ
وَها أَنْتُمْ كَصَخْرِ جِبالِنا قوّةْ
كَزَهْرِ جِبالِنا الحُلْوَةْ
فكيفَ الجُرْحُ يَسحقُني؟
وَكيفَ اليأسُ يَسحقُني؟
وَكيفَ أَمامَكُمْ أبكي؟
يَمينًا بعدَ هذا اليومِ لَنْ أَبكي

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

خواطِرُ الغُروبِ
للشّاعرِ إبراهيم ناجي

قُلتُ لِلبَحرِ إذ وَقفتُ مساءَ ... كَمْ أَطلْتُ الوقوفَ والإصغاءَ

وجَعلتُ النّسيمَ زادًا لِروحي ... وشَرِبتُ الظِّلالَ والأضْـواءَ

لَـكـأنَّ الأضـواءَ مُختَلِفاتٍ ... جَعَلَتْ منكَ رَوْضَـةً غَنّاءَ

مَرَّ بي عِطْرُها فَأَسْكَرَ نَفْسي ... وَسَرى في جَوانِحي كيفَ شاءَ

نَشْوةٌ لَمْ تَطُلْ صَحا القَلْبُ مِنها ... مِثْلُ ما كـانَ أَوْ أَشَـدُّ عَناءَ

إِنَّـما يُـفْـهَـمُ الشّبيهُ شَبيهًا ... أَيُّها البحرُ، نَحْنُ لَسْنا سَواءَ

أنتَ باقٍ وَنَحْنُ حَرْبُ اللَّيالي ... مَـزَّقَـتْـنـا وَصَـيّـرَتْـنـا هَـبـاءَ

أَنْتَ عاتٍ ونَحْنُ كالزّبدِ الذّا ... هبِ يَعْلو حينًا وَيَمْضي جُفاءَ

وَعَجيبٌ إِلَيْكَ يَمَّمْتُ وَجهي ... إذ مَلَلْتُ الحَياةَ والأَحْـيـاءَ

أَبْتَغي عِنْدِكَ التّأسّي وما تَمْـ ... ـلِكُ رَدًّا ولا تُجيبُ نِـداءَ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قال محمود سامي البارودي

أيُّـهـا الـمَـغـرورُ مَهلا ... لَـسـتَ لـلتَّكـريـمِ أَهـلا
كَيفَ صادَفْتَ الأماني؟ ... هَلْ رَأَيتَ الصَّعبَ سَهْلا؟
خِـلْـتَـهـا مـاءً نَـمـيـرًا ... فـاشـرَبَـنْ عـلًّا ونَـهْـلا
أيـنَ أهـلُ الـدّارِ فانْظُرْ ... هَـلْ تـرى بـالـدّارِ أهلا؟
رُبَّ حُـسْـنٍ فـي ثـيـابٍ ... عـادَ غِسلينًا وَمُـهْـلا؟
وعـيـونٍ كُـنَّ سـودًا ... صِرنَ عندَ الموتِ شُهْلا
سـوفَ يلقى كُـلُّ بـاغٍ ... في الـوَرى خِـزْيًا وَبُهلا
إنَّـمـا الـدُّنـيـا غُـرورٌ ... لـمْ تَـدَعْ طِـفـلًا وَكَـهْـلا
كَـمْ حَـكـيـمٍ ضَـلَّ فيها ... فاكْتَسى بِالعِلمِ جَهْلا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الحركةُ الشِّعريّةُ في دولةِ الإماراتِ العربيّةِ المُتّحدة

إذا أردنا أنْ نؤرِّخَ للشِّعرِ الحديثِ في دولةِ الإماراتِ العربيّةِ المُتّحدةِ، فإنّنا نجدُ صعوبةً في تحديدِ بواكيرِهِ، أو بداياتِهِ؛ ذلكَ أنّ ما وَصلَنا من الشِّعرِ الحديثِ –حتّى الآن– لا يكادُ يتجاوزُ مرحلةَ العشرينيّاتِ، وما بعدَها، أمّا ما قبلَ ذلكَ فلا نكادُ نعثرُ على نصوصٍ شعريّةٍ نستطيعُ أنْ نتّخذَها مُنطَلَقًا لتأريخِ الشِّعرِ الحديثِ في هذِهِ المنطقةِ، ولذلكَ فإنّ الدِّراساتِ الّتي تناولَتْ روّادَ الشِّعرِ الحديثِ في الإماراتِ تنطلقُ –عادةً– من الشّاعرِ «سالم بن علي العويس» الّذي عاشَ في الفترةِ المُمتدّةِ ما بينَ نهايةِ القَرنِ التّاسِعَ عشرَ، ونهايةِ القَرنِ العشرينَ بوصفِهِ الرّائدَ الأوّلَ لهذا الشِّعرِ الحديثِ، وبوصفِهِ الشّاعرَ الإحيائيَّ الّذي كانَ يكتبُ بطريقةٍ مُتميّزةٍ تنأى عن مُجاراةِ الأساليبِ الّتي كانَتْ مُغرِقَةً في المُحَسِّناتِ البديعيّةِ، والتي كانت تركز على الإخوانيّاتِ، والمُناسباتِ، والألغازِ.

وكلُّ الشُّعراءِ والأُدباءِ الّذينَ يُذكَرونَ معَ الشّاعرِ «سالم بن علي العويس»، من أمثالِ: محمدِ ابنِ ثاني بنِ قطامي، وخلفانَ بنِ مصبحٍ، وَمُباركِ بنِ حمدِ العقيلي، وأحمدَ بنِ سلطانَ بنِ سليمٍ، وَمُباركِ بنِ سيفِ النّاخي، وسعيدِ الهاملي، وأحمدَ بنِ خصيفةَ، وعليِّ بنِ قمبرَ، يُعَدّونَ من مُعاصريهِ، أوْ ممّن عاشوا في فترةٍ قريبةٍ من عصرِهِ...

أمّا الشّعراءُ الّذينَ عاشوا قبلَ هؤلاءِ فإنّنا لا نعرفُ عنهم شيئًا، وإذا لم نجدْ نصوصًا شعريّةً تؤكِّدُ هذا التّواصلَ والاستمرارَ، فإنّ ذلكَ يرجعُ أساسًا إلى غيابِ وسائلِ الطِّباعةِ الّتي لمْ تدخلْ إلى منطقةِ الخليجِ إلّا في فترةٍ مُتأخّرةٍ[1].

وقد عُرِفَ أوائلُ شُعراءِ الإماراتِ باسمِ «جماعةِ الحيرةِ» نسبةً إلى منطقةِ «الحيرةِ» في مدينةِ الشّارقةِ، وهم: صقرُ بنُ سلطانَ القاسمي، وخلفانُ بنُ مصبّح، وسالمُ بنُ عليّ العويسِ، وأخوهُ سُلطانُ بنُ عليّ العويسِ.

وكانَت القصائدُ الشِّعريّةُ لهؤلاءِ الشُّعراءِ تحتفظُ بانحيازِها الكاملِ في الالتزامِ بالشّكلِ العموديِّ، معَ محاولةِ التّجديدِ في المعنى، كما تشهدُ لهم بمستوًى مُتقدِّمٍ من الوعي

1) أ. د. الرّشيد بوشعير، أدب الخليج العربي الحديث والمعاصر، منشورات دار العالم العربي، دبي، ط1، 1432هـ/ 2011م.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

والقُدرةِ على الإبداعِ، وتعدُّدِ محاورِ الخطابِ الشِّعريِّ واتّجاهاتِه وجوانبِه وجدانيًّا، ووطنيًّا، وقوميًّا.

وجيلُ الشُّعراءِ الأوائلِ في الإماراتِ اعتمدَ على تثقيفِ ذاتِهِ بوسائلَ مُختلفةٍ، وذلكَ من خلالِ مُتابعةِ الصُّحفِ والمجلّاتِ الّتي كانَت تصلُ إلى المنطقةِ بطريقةٍ غيرِ مُنتظَمَةٍ، ومن خلالِ الإذاعاتِ، أوْ من خلالِ الكتبِ في المكتباتِ الخاصّةِ لدى الميسورينَ والمُثقّفينَ من أبناءِ المنطقةِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ذكرى جَدّتي

جَمال بن حويرب

مَـدَّتْ يَدَيْها للسّماءِ، وَعَيْنُها ... مَلْأى مِنَ التّاريــخِ والأحلامِ

عِنْدَ المساءِ دُعاؤها في هَـدْأةِ ... اللَّيْلِ الحَزينِ وَيَـقـظَةِ الآلامِ

تَتَذَكَّرُ الماضي وَعَـهْـدَ شَبيبَةٍ ... أَوْدَتْ بِنَضْرَتِــهِ يَدُ الأيّــامِ

وَملاعِبَ الأترابِ في الحَيِّ القديمِ ... وَمـا بِهـا مِـنْ أَثْلَــةٍ وَثُمامِ

أَزْمانَ لا حُزْنٌ، ولا تَعَبٌ، وليسَ ... الـعُـمْـرُ غَـيْـرَ تَـدَلُّـلٍ وَهُيــامِ

وَمَعاهِدَ الزَّمَنِ الجَميلِ وَرِفْقَةً ... رَحلوا بِغَيْرِ تَحيّــةٍ وَسَـلامِ

تَـتـذكَّـرُ الماضي بِـضَـمّـةِ أُمِّها ... وَحَنانِ أَخْـوالٍ لَها أَكْــرامِ

وَدَلالِ والـدِهـا وَقُـبْـلَـةِ عَمِّها ... وَحَفــاوَةِ الجيــرانِ والإكـرامِ

رَحلَ الجميعُ، وَخلّفوها صَفْحَةً ... تُـطـوى على الأيّــامِ والأعــوامِ

فَلِمَنْ تَئِنُّ، وَمَـنْ يَضُمُّ فؤادَها ... بَعْدَ المَشيبِ وَفُـرْقَـةِ الأرحـامِ

لا أَهْلُهـا أَهْـلٌ ولا أَتْرابُهـا ... حتّى الـخيـامُ تَـبَـدَّلَـتْ بِخيامِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قال كريم معتوق

أوصى بِكِ اللّهُ ما أَوْصَتْ بكِ الصُّحفُ ... والشِّعرُ يدنو بخوفٍ ثُـمَّ ينصرفُ

مـا قُـلْـتُ والـلّـهِ يـا أُمّــي بقافيةٍ ... إلا وكـان مقـامًـا فـوقَ مـا أصـفُ

يَخضرُّ حقلُ حروفي حين يحملها ... غيمٌ لأُمّـي عليه الطّيبُ يُقتطفُ

والأ مُّ مـدرسـةٌ قـالـوا، وَقُـلْـتُ بها ... كُـلُّ الـمـدارسِ ساحاتٌ لها تقفُ

ها جِـئْـتُ بالشِّعرِ أُدنيها لقافيتي ... كأنما الأمُ في اللا وصـفِ تتصفُ

إِنْ قُلْتُ في الأُمِّ شعرًا قامَ معتذرًا ... ها قد أتيتُ أمـامَ الجمعِ أعترفُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

القِصَّةُ القصيرةُ

القِصَّةُ القصيرةُ

«القِصّة»مشتقة من الفعل «قَصَّ»، الّذي يأتي بمعنى التَّتبّع، يقال: قصَّ فلانٌ أثرَ فلان: أي تتبّعه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾. ويأتي أيضًا بمعنى الإخبار والرواية، يقال: قَصّ عليه الخبر: أي حدّثه، وقَصّ القِصّة: أي حكاها. فالقِصّة: هي الحكاية الّتي تُحكى.

أمّا «القِصّة» في الاصطلاح فلها تعريفات كثيرة، لكنّ معظم هذه التعريفات يؤكد على أنّ القِصّة سرد متخيّل قصير نسبيًّا، يهدف إلى إحداث تأثير معين، وفي أغلب الأحوال تركز القِصّة القصيرة على شخصية واحدة في موقف واحد، في لحظة واحدة، في مكان بعينه. وقد اختصر بعضهم تعريف القِصّة بقوله «فَنٌّ أدبيٌّ نثريٌّ يتناول بالسرد حدثًا وقع، أوْ يمكن أن يقع».

وأهم ما يمكن أن يقال عن القِصّة (والرواية كذلك) إنّها فنٌّ غايته الإمتاع في المقام الأول، فليس من أهداف القِصّة (أو الرواية) أن تقدم معلومات للقارئ بصورة مباشرة، وليس من أهدافها أنْ تُعلّم أو تعظ. إنّ القِصّة فن، والفن لا يتخذ من الخطاب المباشر وسيلة أو طريقة للتعبير والوصول إلى وجدان القارئ.

إنّ القِصّة تستحثُّ القارئ على التفكير والتأمل، وعلى أن ينظر إلى الحياة من زوايا مختلفة، ومن خلال تفاصيل صغيرة جدًّا قد لا ينتبه إليها، لكنها تشكل حياة الناس وتؤثر فيهم، لذلك نقول: إن القِصّة الناجحة هي الّتي تجعل القراء يفكرون، ويشعرون.

وهناك عناصر أساسية تقوم عليها القِصّة (أو الرواية)، والكاتب الناجح هو الّذي يشكل من هذه العناصر بناء فنيًّا متجانسًا متماسكًا، يؤثر في القارئ، ويوصل إليه فكرة ما بشكل غير مباشر، ومن أهم عناصر القِصّة:

1. **الحدث**: عادة ما تقوم القِصّة القصيرة على حدث مفرد؛ فالقِصّة تجري في زمان محدد، ومكان محدد، وتتناول موقفًا محددًا، أو شريحة من الحياة بغية تسليط الضوء عليها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

2. **الشخصيات**: عنصر الشخصية يعد دعامة أساسية من دعامات القِصّة، فلا يمكن أنْ تُبنى قصة من دون وجود شخصية تحرك الأحداث وتتأثر بها، والشخصية قد تكون إنسانًا أو حيوانًا أو كائنًا متخيلاً.

3. **الإطار الزماني والمكاني**: يحدد هذا العنصر زمن وقوع الأحداث ومكانها، والكاتب المتمكن يوظف عنصر الزمان والمكان توظيفًا يناسب جوّ القِصّة، والفكرة.

4. **الراوي ووجهة النظر**: الراوي هو الّذي يروي القِصّة، وهو ليس الكاتب، بل الكاتب يختار وجهة نظر معينة تُروى من خلالها القِصّة، ويرويها راوٍ قد يكون شخصية من شخصيات القِصّة، وقد يكون راويًا خارجيًّا. ووجهة النظر الّتي ينطلق منها الراوي تتقاطع مع فكرة الرواية، لأنها تعبّر عنها.

5. **الحبكة**: الطريقة الّتي يجمع بها الكاتب أحداث قصّته أو روايته ليصنع منها عملًا فنيًّا، يجذب القارئ، ويشدّه في اتجاه النّصّ من بدايته حتّى نهايته، وقد يظهر خط بسيط للحبكة في بعض القصص، فعلى الرغم من قصر القِصّة، وضيق المساحة المتاحة للكاتب ليتحرك فيها، إلا أنّ بعض القصص يظهر فيها تصاعد للأحداث، ووصولها إلى نقطة توتر عليا، ثُمَّ انحدار نحو النهاية.

6. **التشويق**: هو العنصر الّذي يشدّ القارئ نحو القِصّة وعالمها، وغالبًا ما يكون مرتبطًا بشيء تريده الشخصية الرئيسة، أو مشكلة تواجهها. بعض القصص قد تتحرر من البنية التقليدية الّتي تعتمد على التشويق وتأزم الموقف، خاصة تلك الّتي تركز على مشهد وحيد مضغوط، أو الّتي تُبقي القارئ داخل دائرة تفكير الشخصية وتأملاتها وأسئلتها، ولذلك يصنف بعضهم القصص إلى «قصة شخصية» و«قصة حبكة أو حدث». أمّا الثانية، في الغالب، هي الّتي قد تحوي عنصر التشويق القائم على توتر الأحداث ووصولها إلى نقطة تأزّم عُليا.

7. **الفكرة أو الموضوع**: وهي الرسالة المبطنة في القِصّة، والتي يريد الكاتب من القارئ أن يصل إليها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

8. **اللغة**: اللغة ترتبط بحجم القِصّة، ويجب أن تكون مكثفة تعتمد التلميح بدل التصريح؛ فلا مجال للوصف المسهب فيها، وغالبًا ما يتراوح عدد كلماتها بين خمسمئة إلى عشرة آلاف كلمة، وقد تستخدم الحوار الّذي يجب أن يناسب الشخصية، مما يفتح الباب للعبارات العامية والشعبية.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الدَّرْسُ الأَخيرُ
(ألفونسو دوديه)

حينما اتّخذْتُ طريقي إلى المدرسةِ ذلكَ الصّباحَ، كُنْتُ مُتأخِّرًا للغايةِ، وارتعَدْتُ فَرقًا وأنا أَتخيّلُ ما يَنتظِرُني مِنْ توبيخٍ شديدٍ، خاصّةً وأنّ السّيّدَ (هامل) قالَ إنّهُ سَيسألُنا في أسماءِ الفاعلِ والمفعولِ، وهوَ ما لَمْ أكُنْ أفقَهُ فيهِ شيئًا[1]. فَكَّرْتُ لِوَهْلَةٍ في الهَرَبِ، وإمضاءِ بقيّةِ النّهارِ خارِجَ الأسوارِ مُتَمرّغًا في أحضانِ الطّبيعةِ بِكُلِّ جَمالِها وَعُنفوانِها.

1) ماذا يُمكِنُ أنْ يقعَ بينَ الرّاوي والسّيّدِ (هامل)؟

كانَ الطّقسُ رائِعًا، والسّماءُ مُشرِقةً باسِمَةً... وعلى الأغصانِ هُناكَ في أطرافِ الغاباتِ شَرعَت الطّيورُ تَعزِفُ سيمفونيّةً عذبةً تُشَنِّفُ الأسماعَ في تَمازُجٍ معَ الطّبيعةِ لا يوصَفُ، فيما كانَ الجنودُ يؤدّونَ تدريباتِهِم، على أنّني استعَنْتُ بِكَمٍّ هائلٍ مِنَ الصّبرِ وَصدِّ الإغراءِ لِمُقاومةِ ذلكَ كُلِّهِ، فهرَعْتُ إلى المدرسةِ موقِنًا بأنّهُ لا بُدَّ ممّا ليسَ مِنْهُ بُدٌّ، وبأنّهُ إذا لم يَكُنْ ما أُريدُ، فإنَّ عليَّ أنْ أُريدَ ما يكونُ[2].

2) ما صفاتُ الرّاوي حتّى هذِهِ النُّقطةِ؟

ما إن اجتَزْتُ دارَ البلديّةِ حتّى لَمَحْتُ جَمْعًا غفيرًا مِنَ النّاسِ أمامَ لوحةِ الإعلاناتِ، تِلْكَ الّتي كانَتْ – وَلِسَنتينِ خَلَتا– مصدرًا لِما يُرشِدُنا مِنْ أخبارٍ سيّئةٍ... المعاركِ الّتي خَسِرناها... التّجنيدِ... أوامرِ قائدِ الوحدةِ العسكريّةِ... وَفكّرْتُ: ماذا عساهُ أنْ يكونَ الآنَ حدثَ؟ وَعَدَوْتُ بأقصى سُرعةٍ، وفي أثناءِ ذلكَ صاحَ بيَ الحدّادُ (واشتر) الّذي كانَ يقرأُ لوحةَ الإعلاناتِ، يُرافقُهُ صِبْيَةٌ:[3]

3) ما الّذي يُمكِنُ أنْ يكونَ قد حدثَ؟

– خَفِّفِ الوطءَ يا بُنيَّ... سَتصِلُ إلى مدرستِكَ في مُتَّسَعٍ مِنَ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الوقـتِ!

وَخِلْتُـهُ يهـزأُ بـي... ومـا إنْ حاذَيْـتُ الحديقـةَ الصّغيـرةَ حتّـى كُنْـتُ قـدِ استنفَدْتُ آخرَ أنفاسـي.

فـي بدايـةِ كُلِّ يـومٍ دراسـيٍّ، كانَـت الجَلبـةُ ترتفـعُ حتّـى تطـرُقَ أسـماعَ المـارّةِ أسـفلَ الشّـارعِ، فَتْـحُ وإغـلاقُ الأدراجِ، والـدّروسُ الّتـي نُرَدِّدُهـا بصـوتٍ واحـدٍ مُرتفـعٍ، وأَيْدينـا علـى آذانِنـا سَـعيًا وراءَ فهـمٍ أعمـقَ، وَمسـطرةُ مُعَلِّمِنـا الرّهيبـةُ تطـرقُ المنضـدةَ أمامَـهُ، علـى أنّ الهـدوءَ سـاعتَها كانَ مُخَيِّمًـا علـى تجاويـفِ الزّمـانِ والمـكانِ. فواعَجبـي! ويـا لسـوءِ حظّـي! كُنْـتُ أنـوي التّسـلّلَ إلـى مكانـي تحـتَ سـتارِ الفوضـى، وليـسَ ثَمّـةَ فوضـى!... يومَهـا كانَ الصّمْـتُ أشـبهَ بسـكونِ المُصَلّيـنَ.

وَنَظَـرْتُ عَبْـرَ النّافـذةِ، فـإذا رفاقـي قـد جلـسَ كُلٌّ مِنْهُـم فـي مقعـدِهِ، فيمـا كانَ السّـيّدُ (هامـل) يَـذْرعُ غُرفـةَ الـدّرسِ ذهابًـا وَإيابًـا، وَمِسـطرتُهُ تحـتَ إبطِـهِ. تعيّـنَ علـيَّ يومَهـا أنْ أفتـحَ البـابَ، وأنْ أَمُـرَّ أمامَهُـمْ جميعًا، وَلكُـمْ أنْ تتخيّلـوا مـا احتوانـي مِـنْ خَجـلٍ، ومـا اعترانـي مِـنْ رُعـبٍ قاتِـلٍ! علـى أنّ شـيئًا لـم يَحـدُثْ، رآنـي السّـيّدُ (هامـل) فقـالَ بِرقّـةٍ: «اذهَـبْ إلـى دُرجِـكَ بسـرعةٍ أيُّهـا الصّغيـرُ (فرانـز)، لقـد كُنّـا علـى وَشَـكِ البـدءِ مِـنْ دونِـكَ».[4]

4) سَجِّلِ الحدثَ الّذي يُعَدُّ بدايةَ القِصّةِ.

وَقفـزْتُ بسـرعةٍ إلـى مقعـدي، وَسـاعتَها لَـمْ أَكُـنْ قـد لاحَظْـتُ أنّ مُعلّمَنـا كانَ يرتـدي بدلتَـهُ الخضـراءَ الأنيقـةَ، وقميصَـهُ المُهـدّبَ، وَقُبّعتَـهُ الحريريّـةَ السّـوداءَ، لَـمْ يَكُـنْ يرتـدي ذلـكَ إلّا فـي المُناسـباتِ، فمـا الخَطْـبُ؟[5]

5) ما الخَطْبُ في رأيكَ؟

وزادَ فـي دهشـتي وَعَجبـي مـا كانَ يسـودُ المدرسـةَ مِـنْ صمـتٍ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وهـدوءٍ... علـى أنّ اسـتغرابي بلـغَ أَوْجَـهُ حينمـا لَمَحْـتُ المقاعِـدَ الخَلفيّـةَ وقـد امتـلأَتْ بأهـلِ القريـةِ تغشـاهُمْ -كمـا تَغشـانا- سَـكينةٌ وَوقـارٌ. لَمَحْـتُ العجـوزَ (هـاوزر) بِقُبّعتِـهِ ثُلاثيّـةِ الأطـرافِ، ورأيْـتُ كذلـكَ عُمْـدةَ المدينـةِ وَمُديـرَ البريـدِ السّـابِقَيْنِ، وَنفـرًا كثيـرًا.

ولاحَظْـتُ بـأنّ العجـوزَ (هـاوزر) كانَ قـد وضـعَ كِتـابَ مبـادئِ التّعليـمِ علـى رُكْبَتَيْـهِ، فيمـا جعـلَ نَظّارتَـهُ الهائلـةَ بيـنَ صفحاتِـهِ، وفـي خِضَـمِّ تسـاؤلاتي الحائـرةِ تِلْـكَ رأيْـتُ السّـيدَ (هامـل) يَتَّجِـهُ إلـى مقعدِهِ، ويقـولُ بـذاتِ النّبـرةِ الرّقيقـةِ الّتـي خاطبَنـي بهـا:

– سـيكونُ هـذا الـدّرسُ يـا أولادي هـوَ آخِـرُ مـا سـأُلَقِّنُكُمْ إيّـاهُ، فقـد صـدرَ الأمْـرُ مِـنْ (برليـن) بتدريـسِ الألمانيّـةِ فقـطْ فـي مـدارسِ (الإلـزاس واللّورين)، وسـيصلُ مُدَرِّسُكُمُ الجديـدُ غَـدًا... أنصِتـوا إليَّ جَيِّـدًا، فهـذا هـوَ آخِـرُ دَرسٍ لَكُـمْ بالفرنسـيّةِ.[6]

6) ماذا تُسمّي هذِهِ اللّحظةَ في بنيةِ الحبكةِ؟

وَنزلَـتْ كلماتُـهُ عَلـيَّ نـزولَ الصّاعقـةِ! ذلـكَ إذًا مـا تَسَـمَّرَ النّـاسُ بِسَـبَبِهِ أمـامَ لوحـةِ الإعلانـاتِ «آخِـرُ درسٍ لـي بالفرنسـيّةِ»! وأنـا بالـكادِ أكتـبُ! لَـنْ أتعلّـمَ أكثـرَ مِـنْ ذلـكَ؟ كَـمْ أشـعرُ الآنَ بوخـزِ الضّميـرِ... بالنَّـدَمِ علـى مـا أضَعْتُـهُ فـي سـالفِ أيّامـي مِـنْ وقـتٍ فـي الجَـري بحثًـا عـن أعشـاشِ الطّيـورِ، مُهـدِرًا تلـكَ الفُرصـةَ الّتـي سـنحَتْ لـي لِتَعَلُّـمِ الفرنسـيّةِ، وَبَـدَتْ لـي حقيبتـي وكُتبـي الثّقيلـةُ -المُزعجـةُ سـابِقًا- أحبابًـا وَرِفاقًـا، أمّـا مُعَلِّمُنـا السّـيّدُ (هامـل) فقـد أنسـاني قُـرْبُ فِراقِـهِ مِسـطرتَهُ الرّهيبـةَ وَغرابـةَ أطـوارِهِ.

يـا لَلمسـكينِ! فذلـكَ إذًا مـا دعـاهُ إلـى ارتـداءِ أجمـلِ ملابسِـهِ، وأدرَكْـتُ الآنَ سـببَ حضـورِ أهـلِ القريـةِ؛ لقـد كانـوا مِثلـي يَعضّـونَ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أصابعَ النَّدمِ؛ لأنّهُمْ أضاعوا الكثيرَ سابِقًا. لقد جاؤوا تعبيرًا عنِ امتنانِهِمْ لذلِكَ الّذي خدمَهُم أربعينَ سنةً بإخلاصٍ لا مثيلَ لَهُ، وعن احترامِهِم وَمحبّتِهِم لهذا الوطنِ الّذي ما عادَ وَطنًا، ولهذِهِ البلادِ الّتي أضحَتْ لِغَيرِهِم. جالَتْ تِلكَ الفكرةُ عاصفةً في خيالي، وَكُلّما تَكَشّفَتْ عن حقيقةٍ ازدَدْتُ أَلَمًا، ولاتَ حينَ مَندمٍ![7]

7) في هاتينِ الفِقرتينِ إبداءٌ بفكرةِ القِصّةِ، ما الفكرةُ في رأيِكَ؟

وفي أثناءِ ذلكَ أُمِرْتُ بالقراءةِ! جاءَ دَوْري إذًا، ساعتَها تمنّيْتُ مِنْ كُلِّ قلبي أنْ أقرأَ المطلوبَ بِكُلِّ طلاقةٍ واقتدارٍ، ولكنْ ليسَ دائمًا ننالُ ما نَتمنّاهُ، وَقفْتُ كالأبلهِ، ثُمَّ تَعثّرْتُ عندَ أوّلِ كلمةٍ، ودقّاتُ قلبي كَطبولٍ هنديّةٍ مَسعورةٍ، وَيدايَ مُمْسِكتانِ بِطَرفِ المنضدةِ كَوَتديْنِ، مُطرِقًا كُنْتُ، ولا أجرؤُ على رفعِ رأسي خجلًا.

وَتسلّلْتُ إلى كلماتِ السّيدِ (هامل) في رقّةٍ وهدوءٍ:

– لَنْ أوبِّخَكَ أيُّها الصّغيرُ (فرانز)، فَبِكَ ما يكفيكَ عنِ اللّومِ والتّأنيبِ، أرأيْتَ؟ إنّنا نقولُ لِأنفُسِنا كُلَّ يومٍ: لِمَ العَجلَةُ؟ هُناكَ مُتَّسَعٌ منَ الوقتِ، سأتعلّمُ غَدًا، وها قد وقعَ المحظورُ، ذاكَ عيبُ (الألزاس) الأكبرُ، «تأجيلُ تَعَلُّمِ اليومِ إلى الغدِ». لقد مَكَّنْتُمْ أولئكَ الدُّخلاءَ – بذلكَ– أنْ يقولوا لَكُم: تدَّعونَ بأنّكُمْ فرنسيّونَ، ومعَ ذلكَ فإنّكُم لا تستطيعونَ القراءةَ أو الكتابةَ بِلُغتِكُمُ الأُمِّ؟! لكنّكَ عزيزي (فرانز) لَسْتَ الأسوأَ، فنحنُ جميعًا مُقَصِّرونَ، وعلينا أنْ نلومَ أنفُسَنا أشدَّ اللّومِ. إنّ آباءَكُم يتحمّلونَ قدْرًا لا بأسَ بِهِ من المسؤوليّةِ، فقد كانوا يُفَضّلونَ أنْ تَنضمّوا إليهِم في الحقولِ على تَلَقّي العِلْمِ؛ رَغبةً في الحصولِ على حفنةٍ من المالِ. وَأنا نَصيبي مِنَ اللّومِ والتّقصيرِ لا بأسَ بِهِ كذلكَ؛ أَلَمْ أُرسِلْكُم لِسَقي أزهاري

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فـي بعـضِ الأحيـانِ بَـدلًا مِـنْ تَدريسِـكُم؟ وعندَمـا كُنْـتُ أرغـبُ فـي الذّهـابِ لصيـدِ الأسـماكِ أَلَـمْ أَكُـنْ أكتفي بِمَنحِكُـمْ إجـازةً أنطلِـقُ بعدَهـا بِسـنّارتي كالفاتِـحِ المُظَفّـرِ؟

وَتحـدّثَ السَّـيِّدُ (هامـل) فـي أمـورٍ كثيـرةٍ، ثُـمّ شـرعَ يمتـدحُ اللُّغَـةَ الفرنسـيّةَ، وَيُبـرِزُ محاسـنَها، مؤكِّـدًا أنّهـا تحمـلُ أجملَ وأوضـحَ لُغـاتِ العالَـمِ، وأنّهـا الأكثـرُ منطقيّـةً، ولـمْ يَنـسَ أنْ يَحُثَّنـا علـى التّمسُّـكِ بهـا، والحفـاظِ عليهـا، مُبَيّنًـا أنّ الاسـتعمارَ إذا مـا حَـلَّ بِشَـعبٍ فـإنّ تَمَسُّـكَ هـذا الشّـعبِ بِلُغَتِـهِ يعنـي امتـلاكَ مِفتـاحِ سـجنِهِ.

وَفتـحَ المُعلّـمُ (هامـل) بعـدَ ذلـكَ كتـابَ القواعـدِ، فتـلا الـدّرسَ المُقَـرّرَ، وَدُهِشْـتُ للسُّـرعةِ الّتـي اسـتوعَبْتُ بهـا شَـرحَهُ، وَبَـدا كُلُّ مـا قالَـهُ لسـمعي سَـهلًا مُيَسَّـرًا. لَـمْ أتذكّـرْ أنّـي أصغَيْـتُ سـالِفًا بـذاكَ القَـدْرِ مـن الاهتمـامِ، ولا شَـرَحَ هـو لَنـا الـدّرسَ بِمثـلِ ذلـكَ الصّبـرِ... بـدا الأمـرُ كمـا لـوْ أنّ المسـكينَ أرادَ أنْ يسـكُبَ فـي ذواتِنـا كُلَّ مـا يعرفُـهُ دُفعـةً واحـدةً.

وتـلا القواعِـدَ دَرْسٌ فـي الكتابـةِ، كَتَبْـتُ جُمَلَـهُ علـى أوراقٍ جديـدةٍ بخـطٍّ جميـلٍ... وَبَـدَتْ كمـا لـو كانَـتْ أعلامًـا صغيـرةً تُرفـرِفُ فـوقَ أعمـدةِ أدراجِنـا... ليتـكَ كُنْـتَ معنـا كـي تَشْـهَدَ ذاكَ الصَّمْـتَ الّـذي سـادَ يومَهـا، والعمـلَ الـدّؤوبَ. لَـمْ يَكُـنْ هُنـاكَ ثَمّـةَ صَـوْتٌ يُسـمَعُ سـوى نَقْـشِ الأقـلامِ علـى الطُّـروسِ، وَوَلَجَـتِ الفصـلَ بعـضُ الخنافسِ عبـرَ النّافـذةِ إلّا أنّ أحـدًا لَـمْ يُعِرْهـا اهتمامًـا، حتّـى الصّغـارُ... كانـوا عنهـا فـي شُـغلٍ شـاغلٍ. وفـي الأعالـي تَـرَدَّدَ هديـلُ الحَمـامِ خافِتًـا عَذْبًـا، فَقُلْـتُ فـي نفسـي: «تُـرى، هـل سَـيُرغمونَ الحَمـامَ أيضًـا علـى الهديـلِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

8) كيفَ سارَتِ الأحداثُ بعدَ أنْ عرفوا جميعُهُم أنّ هذا الدّرسَ هوَ الدّرسُ الأخيرُ؟

بالألمانيّـةِ؟».[8]

وَكُنْـتُ أرفـعُ رأسـي بَيْـنَ الوهلـةِ والأُخـرى، فـأرى السَّـيِّدَ (هامـل) جالِسًـا علـى كُرسـيِّهِ دونَ حـراكٍ، مُنَقِّـلًا نَظَـرَهُ فـي أرجـاءِ الفَصْـلِ وأركانِـهِ، فكأنّمـا هـوَ يُحـاوِلُ تثبيـتَ كُلِّ لقطـةٍ فـي ذاكرتِـهِ إلـى الأبـدِ. تَخيّـلْ، قُلْـتُ في نفسي: طـوالَ أربعيـنَ سنةً كانَ يَجْلِسُ على الكُرسـيِّ ذاتِـهِ أمـامَ الفصـلِ، فيمـا تتسـلّلُ نظراتُـهُ عبـرَ النّافـذةِ بيـنَ فينـةٍ وأُخـرى إلـى حديقتِـهِ البهيجـةِ. مـا تغيّـرَ مِـنْ ذلـكَ شـيءٌ سـوى امتـدادِ يَـدِ البِلـى – نوعًـا مـا– إلـى المَقاعـدِ والمَناضـدِ، وأشـجارِ الجـوزِ الّتـي سَـمقَتْ فروعُهـا، وتسـامَتْ، وَأَذرعِ اللّبـلابِ الّتـي تسـلّقَتِ الجـدارَ مُلْتَفَّـةً حَـوْلَ النّوافـذِ حتّـى جـاوزَت السّـقفَ. يـا لَلمسـكينِ! كَـمْ سَيَكْسِـرُ ذلـكَ قلبَـهُ، وَيُحَطِّـمُ كَيانَـهُ، عندَمـا يُغادرُنـا إلـى غيـرِ رجعـةٍ بعـدَ أن اعتـادَ على ذلـكَ كُلِّـهِ؟ موجِـعٌ هـذا الدَّهْـرُ أحيانًـا، مُتَقَلِّـبٌ، لا يَقـرُّ لَـهُ قـرارٌ، ولا يـدومُ علـى حـالٍ.

وَشَـرعْتُ أقـرأُ ملامِـحَ الأسـى فـي تقاطيـعِ وَجْهِـهِ، وهـو يسـتمعُ إلـى وَقْـعِ خطـواتِ أُختِـهِ فـي الغُرفـةِ العُلويّـةِ، وهـيَ تـروحُ وَتجـيءُ فـي خِضَـمِّ إعدادِهـا لحقائـبِ السَّـفَرِ، إذْ كانَ يتحتّـمُ عليهِمـا مُغـادرةُ البـلادِ فـي اليـومِ التّالـي. لكـنّ السّـيّدَ (هامـل) كانَ يتحلّـى بشـجاعةٍ لا مثيـلَ لَهـا، مَكَّنَتْـهُ مـنَ الاسـتماعِ إلـى كُلِّ دَرْسٍ حتّـى نهايتِـهِ.

بعـدَ درسِ الكتابـةِ جـاءَتْ حِصّـةُ التّاريـخِ، ثُـمّ شـرعَ الصِّغـارُ فـي ترديـدِ الحـروفِ الهجائيّـةِ، فيمـا كانَ العجـوزُ (هـاوزر) ينطِـقُ الحـروفَ معَهُـم، وَكِتابُـهُ مفتـوحٌ علـى رُكبتَيْـهِ، وقـد أمسـكَ بِـهِ بكلتـا يدَيْـهِ فـي شـوقٍ ولهفـةِ مُـوَدِّعٍ. كانَ هـوَ أيضًـا يبكـي، بـدا ذلـكَ واضِحًـا في تَهَـدُّجِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نبراتِ صوتِهِ الّتي أرعشَها الانفعالُ. كانَ سماعُ ذلكَ مُضحِكًا، إلى حدٍّ داهمَتْنا معَهُ الرّغبةُ في الضّحكِ والبُكاءِ معًا[9]. أوّاهُ، كَمْ أتذكّرُ ذلكَ الدّرسَ الأخيرَ! ذِكراهُ لا تُبارِحُ خيالي، ولا أخالُها تفعلُ ما حَييْتُ.

9) هلْ ترى علاقةً بينَ أشجارِ الجوزِ واللّبلابِ والمُعَلِّمِ (هامل)؟

ودقَّتْ ساعةُ المدينةِ الكبيرةُ فجأةً مُتزامنةً معَ صوتِ أبواقِ الجنودِ العائدينَ لِتَوِّهِمْ من ساحةِ التّدريبِ، ونهضَ السّيّدُ (هامل) مِنْ مقعدِهِ، وبدا شاحِبًا باهِتَ الملامحِ، وَخُيّلَ إليَّ أنّي لَمْ أَرَهُ بهذا الطّولِ مِنْ قَبْلُ.

أيْ أصدقائي، قالَ: أنا...أنا... على أنّهُ لَمْ يستطِعْ مواصلةَ الحديثِ، ثَمَّةَ غصّةٌ في حلقِهِ مَنَعَتْهُ مِنْ ذلكَ.

أَوى إلى رُكْنٍ قَصيٍّ منَ الفصلِ، وأسندَ إلى الجدارِ رأسَهُ، ودونَ أنْ ينبسَ بِبِنْتِ شَفةٍ، أشارَ إلينا بيدِهِ أنْ بِإمكانِكُمُ الانصرافُ[10].

10) ما الحَدَثُ الّذي خَتَمَ القِصّةَ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

المُناوَرَةُ
مُحَمَّد مُسْتَجاب

(1)

نَظَرَ إِلى البَقّالِ، وقالَ لَهُ: «أُريدُ جُبْنًا وزَيْتونًا»، ثُمَّ أَلْقى إِلَيْهِ بِالنُّقودِ، تَناوَلَها البَقّالُ، وتَفَحَّصَها، ثُمَّ اسْتَدارَ إِلى داخِلِ المَحَلِّ، وأَخَذَ يَقْطَعُ قالِبَ الجُبْنَةِ، ويَضَعُ القِطَعَ في الميزانِ، تَدارَكَ ذَبْذَبَةَ الميزانَ، فَأَضافَ إِلَيْهِ قِطْعَةَ جُبْنٍ أُخْرى، زادَتْ عَنْ مُعَدَّلِها، فمَدَّ السِّكِّينَ، وانْتَزَعَ جُزْءًا مِنْها غَيْرَ أَنَّهُ سُرْعانَ ما ارْتَبَكَ، فَقَدْ سَقَطَ الرَّجُلُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.

قَفَزَ البَقّالُ مِنْ فَوْقِ (البَنْكِ)، ليَصِلَ إِلى الجَسَدِ المُسَجّى، تَجَمَّعَ النّاسُ، وبَدَأَ ذَوو التَّجارِبِ يُفْضونَ بنَصائِحِهِمْ: كولونيا، ماءٌ بارِدٌ، تَهْوِيَةٌ بِوَرَقٍ مُقَوّى..

صَرَخَ واحِدٌ مِنْهُمْ: «هاتوا الإِسْعافَ».

1) هل يُمكنُكَ أنْ تخمّنَ معنى "البنك" من سياقِ الكلامِ؟

عادَ البَقّالُ، فقَفَزَ فَوْقَ (البَنْكِ)[1] إِلى داخِلِ المَحَلِّ، سَحَبَ (التَّلِفونَ)، وظَلَّ يُحاوِلُ في (التَّلِفونِ)، وكُلَّما مَرَّتْ لَحْظَةٌ أَلْقَتْ بِالعابِرينَ في حَلْقَةِ التَّفَرُّجِ عَلى الجَسَدِ المُسَجّى[2]، وأَخيرًا رَدَّتِ الإِسْعافُ عَلَيْهِ، فراحَ يَصْرَخُ بِعُنْوانِهِ وَرَقَمِ مَحَلِّهِ ورَقَمِ بِطاقَتِهِ الشَّخْصيَّةِ، ويَحْلِفُ لَهُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مُجَرَّدُ عابِرٍ، لا يَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ أَنْبَأَهُمْ جَميعًا –وهُوَ يُجَفِّفُ عَرَقَهُ– بِأَنَّ عَرَبَةَ الإِسْعافِ قادِمَةٌ حالًا.

2) ماذا تفهمُ من هذهِ العبارةِ؟

كولونيا، ماءٌ بارِدٌ، تَهْوِيَةٌ بِوَرَقٍ مُقَوّى.. فإِذا بالرَّجُلِ يَقومُ قَوِيًّا مُعافى، يَكادُ أَلّا يَكونَ صاحِبَ الجَسَدِ المُسَجّى، نَفَضَ الغُبارَ عَنْ ملابِسِهِ، واعْتَذَرَ إِليهِم جَميعِهِمْ، وَوَجْهُهُ يَنِزُّ عَرَقًا أَوْ خَجَلًا، فَتَحَ لَهُ النّاسُ طَريقًا، ورَحَلَ بلا جُبْنَةٍ ولا زَيْتونٍ..

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

(2)

الإِسْعافُ سَتَخْرِبُ بَيْتَكَ!

اِنْتَبَهَ النّاسُ إِلى المَأْزِقِ الَّذي وَقَعَ فيهِ البَقّالُ، فجَرَوا يَمينًا، وجَرَوا يَسارًا، وعادوا يَنْفُضونَ الأَيْدي، ويَتَساءَلونَ: «أَيْنَ ذَهَبَ صاحِبُ الجَسَدِ المُسَجّى؟».

بَدَأَتِ الأَفْكارُ المُزْعِجَةُ تُغَطّي المَكانَ: واحِدٌ يَحْكي أَنَّ عَرَبَةَ إِطْفاءِ الحَريقِ جاءَتْ إِلى بَيْتِهِ بَعْدَ أَنْ انْطَفَأَ الحَريقُ، فغَرَّموهُ عِشْرينَ جُنَيْهًا، وواحِدٌ أَخَذَ ابْنَهُ إِلى الطَّبيبِ بَعْدَ أَنْ يَئِسَ مِنْ وُصولِ الإِسْعافِ، فغَرَّموهُ عَشْرَةَ جُنَيْهاتٍ، وواحِدٌ أَبْلَغَ عَنْ مُشاجَرَةٍ، فوَصَلَ (البوليسُ) بَعْدَ أَنْ فُضَّتْ، فاعْتَبَروهُ قَدْ أَبْلَغَ عَنْها كَذِبًا، وواحِدٌ قَضى أُسْبوعًا في سِجْنِ المَدينَةِ بُتُهْمَةِ إِقْلاقِ السُّلُطاتِ، وإِهْمالِ القَبْضِ عَلى اللِّصِّ المُبَلَّغِ عَنْهُ، وهُناكَ عَشَراتُ التَّجارِبِ الَّتي جَعَلَتِ البَقّالَ يَصْرَخُ: «أَيْنَ أَنْتَ، يا صاحِبَ الجَسَدِ المُسَجّى؟».[4]

4) ماذا تُسَمّى هذه اللّحظةُ في خطِّ سيرِ الأحداثِ في القِصَّةِ؟

(3)

في مِثْلِ هَذِهِ الحالاتِ يَتَقَدَّمُ واحِدٌ بالحَلِّ الأَمْثَلِ، ويَقْتَرِحُ أَنْ يَتَصَنَّعَ أَحَدُ الواقِفينَ الغَيْبوبَةَ، وأَنْ يَنامَ أَمامَ المَحَلِّ، وسَيَعْمَلُ رِجالُ الإِسعافِ عَلى إِنْقاذِهِ، ولَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ، هُوَ حَلٌّ مُوَفَّقٌ: «لِماذا لا تَتَقَدَّمُ أَنْتَ؟»، فانْتَفَضَ وَريدُ الشَّهامَةِ في صاحِبِ الحَلِّ الأَمْثَلِ[5]، وأَلْقى بنَفْسِهِ أَمامَ المَحَلِّ، فضَحِكَ النّاسُ، وشَكَروهُ، وقَفَزَ صاحِبُ المَحَلِّ مِنْ فَوْقِ (البَنْكِ)؛ لِيَكونَ إِلى جانِبِ الجَسَدِ المُسَجّى.

5) ما معنى العبارةِ التي تحتَها خطٌّ؟

(4)

جَلْجَلَتِ الإِسْعافُ بصَفيرِها المُقْلِقِ، فأَثارَتِ الغُبارَ في الشّارِعِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

والارْتِعاشَ في قُلوبِ النّاسِ، كَتَمَ العارِفونَ بالحيلَةِ الضَّحِكَ، وافْتَعلوا التَّشاغُلَ بالنَّظَرِ إلى الجَسَدِ المُسَجّى.

وَقَفَتْ عَرَبَةُ الإسْعافِ، ونَزَلَ مِنْها رَجُلانِ باهْتمامٍ وحَيَوِيَّةٍ، أَمَرا النّاسَ بالابْتِعادِ، فتَباطَؤوا في الرُّجوعِ إلى الخَلْفِ، تَقَدَّمَ الرَّجُلانِ إلى الجَسَدِ المُسَجّى، حَرَّكا ذِراعَيْهِ، وَوَضعا أُذُنَيْهِما عَلى التّوالي فَوْقَ صَدْرِهِ، أَعادا تَحْريكَ الذِّراعَيْنِ، فَتَحَ أَحَدُهُما عَيْنَ الرَّجُلِ.

اِنْطَلَقَتْ بَعْضُ الضَّحِكاتِ مِنَ الحَلَقاتِ المُلْتَفَّةِ حَوْلَ الجَسَدِ المُسَجّى، وصَرَخَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ في النّاسِ، ثُمَّ قالَ: «ماتَ الرَّجُلُ!».[6]

6) هلْ كُنْتَ تتوقّعُ هذِهِ النّهايةَ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مُفَتِّشُ المَدارسِ
(م. آثار طاهر)

استفسرَ المُفَتِّشُ مِنْ فلّاحٍ كانَ يحملُ محراثَهُ إلى نَجّارٍ أسفلَ الشّارعِ عنِ المدرسةِ.

آهِ.. أَجَلْ هُنا مدرسةٌ في مكانٍ ما.. وأعتقدُ أنّها خارجُ القريةِ. وأشارَ بإصبعٍ مُشَقّقةٍ طلاها الغبارُ إلى الطريقِ الطّالعِ منَ القريةِ.

كانَتِ الشّوارعُ مَليئةً بالمَطَبّاتِ وَالطّينِ، وَتسرَّبَ إليها كثيرٌ منَ المياهِ النّازحةِ مِنَ البيوتِ الطّينيّةِ.. فيما اتّشحَتْ أُخرى سَلِمَتْ مِنَ الماءِ –بالغُبارِ– وانتهَتْ تلكَ الشّوارعُ فجأةً حيثُ بدأتِ الحقولُ، فما كانَ منَ المفتّشِ إلّا أنْ سارَ عَبْرَ دَرْبٍ رَطْبٍ بَيْنَ حَقْلَيْنِ. وعلى بُعْدٍ بَصُرَ بسائقِ دراجةٍ متّجهًا ناحيتَه، وما إنِ اقتربَ مِنْهُ حَتّى توقّفَ سائِقُ الدّراجةِ، وَنزلَ عنها قبلَ أنْ يَقِفَ باحترامٍ لَهُ:

– أينَ المدرسةُ؟

– المدرسةُ؟

– أَجَلْ!

– أترَى شَجَرةَ الشّيشامِ تِلْكَ. قالَ الدَّرّاجُ مُشيرًا إلى شَجرةٍ بَعيدةٍ. إنّها تحتَها.

– هَلْ بإمكانِكَ أَنْ تأتيَ معي فَتُرِيَني إيّاها؟

وَغمرَتِ القرويَّ موجةٌ زَهْوٍ إذْ إنَّهُ قُدِّرَ لَهُ أَنْ يَمُدَّ يَدَ العَوْنِ إلى سَيِّدٍ جَليلٍ مِنَ المدينةِ، وَأعلنَ على الفَوْرِ موافقتَه. وَشعرَ بالفَخارِ يُكلِّلُ هامتَهُ تارةً أُخرى، إذْ تخيّلَ نفسَهُ وَمُديرَ المدرسةِ وَطُلّابَها أَوْ أيَّ عابرٍ قَرويٍّ ينظرونَ إليهِ وهوَ بِصُحبةِ ذلكَ الباشا.. شأنُهُ لاشَكَّ سيعلو في قريتِهِمُ الغافيةِ.. وَأحسَّ لذلكَ بِشَيْءٍ مِنَ العُجْبِ والتّيهِ انتفخَ لهما

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

صَـدْرُه[1].. وَسـارا سَـويًّا.

– إنَّهُ رَجُلٌ رائعٌ ياسيّدي، المُعَلِّمَ أَعني، وهو يعملُ بجدٍّ ودأَبٍ[2].

لَـمْ يُجـبْ مُفَتِّـشُ المَـدارسِ، لقـد أضحَـتْ عَمليّـةُ البَحْـثِ عـنِ المَـدارسِ عبرَ القطاعـاتِ استنزافًا لِصَبْـرِه وَجلَـدِه، في المُـدنِ القَـذِرةِ والأقاليـمِ النّائيـةِ والمراكـزِ المُثقلـةِ بالدُّخـانِ والغُبـارِ، وفـي القُـرى النّائيـةِ حيـثُ الطُّرقـاتُ ضَيّقَـةٌ لايمكـنُ لِسَـيّارتِه «الجيـبِ» أنْ تسيرَ عَبْرَهـا.. والوضـعُ الكئيـبُ لذلـكَ كلِّـهِ كَـمْ يبعـثُ الحُـزْنَ فـي النّفـوسِ.. كانَ عليـهِ أَنْ يَعتـادَ ذلـكَ عبـرَ سَـنواتِ عملِـه الثّـلاثِ.. لكـنَّ الأمـرَ لـمْ يكـنْ بهـذهِ السّـهولةِ، فـكُلُّ مَدرسـةٍ كانَـتْ منبـعَ وَجَـعٍ مَحْـضٍ؛ نَقْـصِ المُـؤَنِ، لامُبـالاةِ النّـاسِ، تَسـيُّبِ الطّلبـةِ، وَعُتُـوِّ المُعلميـنَ، كانَ ذاكَ كثيـرًا جـدًّا.[3] ثُـمَّ، ماالّـذي بوَسْـعِهِ أَنْ يَعمَلَـهُ؟ تَوصيـاتٌ وَتَوصيـاتٌ تَرفضُهـا إدارةُ التَّخطيـطِ والتَّنميـةِ تِلْـكَ الّتي تُخَطّـطُ قليـلًا وَتُطـوِّرُ أَقَـلَّ مِـنَ القليـلِ!.[4]

وَمَـرَّ بحقـولٍ مَحروثـةٍ وَأُخـرى قـدِ اخضلَّـتْ بخُضْـرَةِ القَمْـحِ البِكْـرِ، وَتَجَمّعَـتِ الميـاهُ فيـهِ فركـدَتْ، فيمـا كانـتِ الحشـراتُ تَطيـرُ فوقَـهُ أَوْ تزحَـفُ علـى سَـطْحِهِ، وعندَمـا دَنَيـا منهـا ارتفعَـتْ فجـأةً وقـد عـلا طَنينُهـا.. وَروّحَ مُفَتِّـشُ المـدارسِ علـى وجهِـهِ طـاردًا إيّاهـا فيمـا كانَ الفَـلّاحُ يسـيرُ دافِعًـا دَرّاجتَـه بِخُطـواتٍ واسِـعَةٍ رشـيقةٍ، وأجراسُـها تَهْتِـكُ أستارَ السُّـكونِ. وَوَجَـدَ المُفَتِّـشُ صعوبـةً فـي السَّـيْرِ بمحاذاتِـهِ.. وَمَـرّا بحَقْـلِ ذُرَةٍ فـي أكوازِهـا لمّـا تَـزَلْ، وَخَلْـفَ الحَقْـلِ سَـمَقَتْ شَـجَرةُ «الشّيشـامِ»!

كانَـتْ شَـجرةً ظليلـةً علـى حافّـةِ حَقْـلٍ حُـرِثَ مُنتظِـرًا طَـوْرَ نَثْـرِ البـذورِ، إلّا أنّ أحـدًا لـم يَكُـنْ هُنـاكَ.. واسـتاءَ الرّيفـيُّ:

– قَـدْ كانَـتِ المدرسـةُ هُنـا، أَنـا مُتأكّـدٌ مِـنْ ذلـكَ، قبـلَ حَـرْثِ الأرضِ علـى أقـلِّ تقديـرٍ!

– ثُـمَّ؟

1) كيف يَشعرُ القرويُّ إزاءَ مُفَتّشُ المدرسةِ؟ لماذا؟

2) هلْ تتوقّعُ أنْ يكونَ المُعلّمُ كما وصفَهُ القرويُّ؟

3) كيفَ تصفُ حياةَ مُفَتّشِ المَدارسِ من هذهِ الفِقرةِ؟

4) مِنْ هذا الحوارِ الداخليِّ القصيرِ كيفَ تصفُ إحساسَ المفتشِ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

– لابُدَّ وأنّها انتقلَتْ إلى مَوْقعٍ آخرَ!

– ولكنْ.. المبنى..؟

– المبنى؟!

– أليسَ هُناكَ مبنًى؟

– كلّا سَـيِّدي، لا مَبنـى هُنـاكَ البتّـةَ، إنَّ المُعَلِّـمَ ينقلُهـا معَـهُ، وأنّـى ذَهَـبَ ارتحلَـتْ معَـهُ.

وأبصـرَ الرّيفـيُّ فَلّاحًـا يحمـلُ مِجْرَفـةً علـى بُعْـدِ حُقـولٍ عِـدّةٍ، بعـدَ أنْ أعيتْهمـا الحيلةُ:

– هيهِ.. أنتَ. صاحَ فيه.

وَتوقّـفَ الجَسَـدُ المَحنـيُّ عـنِ الجَـرْفِ قبـلَ أنْ يعتـدلَ. كانتِ الشّـمسُ سـاقطةً فـي عَيْنَيْـهِ، فظلَّلَهمـا بيديـهِ، ونظـرَ إليهما:

– أينَ المدرسةُ ياصاحِ؟ هُنا أستاذٌ منَ المدينةِ ليراها.

– مدرسـةٌ؟ إنّ الأولادَ بجانـبِ حقـلِ القصـبِ، لقـد رأيتُهـم علـى مـا أظـنُّ مُتَّجهيـنَ إليـه هـذا الصبـاحِ. صـاحَ الفَـلّاحُ مُجيبًـا.

كانَ حقـلُ القَصَـبِ كثيفًـا غَنيًّـا بالمحصـولِ، فيمـا امتـدّتْ سُـوْقُ النَّبـاتِ فـي شُـموخٍ.. وقـدِ اصطبغَـتْ ببقـعٍ رماديّـةِ الاخضـرارِ.. وحمـراءَ داكنـةٍ، وغابَـتْ ذراهـا فـي رَقْصَـةٍ نَشـوى مُتمايلـةٍ مَـعَ هَـزّاتِ النّسـيمِ. وفـي الجهـةِ الأُخـرى كانَـتْ هُنـاك حقـولٌ عديـدةٌ قـد حُرِثَـتْ، وآنَ بِذارُهـا. وَنَظَـرا حَوْلَهُمـا.. لَـمْ يَكُـنْ هُنـاك أَحَـدٌ.

– لقد ذكرَ حقلَ القصبِ! قالَ الرّيفيُّ في دهشةٍ.

– أجلْ. قالَ المُفَتِّشُ. باتَ الأمرُ مُمِلًّا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

– رُبَّما كانَتْ في النّاحيةِ الأُخرى!

– اسمعْ! اذهَبْ أنتَ وَتَحَرَّ عَنْ ذلكَ، وعندَما تَجِدُ المدرسةَ أَخْبِرْني.

قالَ مُفَتِّشُ المَدارسِ ماسِحًا حاجبَهُ.

وَطرحَ الرّيفيُّ دراجتَهُ جانبًا، وانطلقَ يبحثُ عنِ المدرسةِ المفقودةِ.

أمّا مُفَتِّشُ المدرسةِ فقدْ جَلَسَ مُجيلًا بَصرَهُ في الأرضِ السّمراءِ، والمحصولِ الماثلِ أمامَهُ.. في الاخضرارِ المُمْتَدِّ أمامَ ناظرَيْهِ باهيًا زاهيًا.. وقد تفاوتَتْ دَرَجاتُهُ وظلالُهُ حتّى إذا ما لامسَ طرفَ السّماءِ كانَ في أَوْهاها.

وَلَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ غَيْمَةٌ في السّماءِ.. نَعَقَتْ بِضْعُ بوماتٍ في أَشجارٍ بعيدةٍ، وَحَلّقَتْ بعضُ الحِدَأِ عاليًا في كَسَلٍ فيما عبَرَتْ فوقَهُ عَصافيرُ جَذْلى مُترنِّمةٌ.

وَسَمِعَ فجأةً صياحًا عاليًا، ولمّا التفتَ حَوْلَهُ أبصرَ الرّيفيَّ يعدو في اتّجاهِهِ وهوَ يومِئُ لَهُ، ونهضَ مُفَتِّشُ المَدارسِ، فأحسَّ تَشنُّجًا في عضلاتِهِ، لقدْ كانَ بلا لَياقةٍ.. وهوَ يعرفُ ذلك جَيِّدًا، وراحَ يلومُ نفسَهُ، لابُدَّ وَأَنْ يفعلَ شيئًا فيما يَختصُّ بذلك! إنَّه يجلسُ في مكتبِهِ، ويجلسُ في سَيارتِهِ الجيبِ، ثُمَّ يُنهي ذلكَ السّياقَ الطّويلَ منَ الجلوسِ.. بالجلوسِ في الكُرسيِّ الوحيدِ في المدارسِ الّتي يزورُها[5].

5) هنا أيضًا كيفَ ترى حياةَ مُفَتِّشُ المَدارسِ؟

– لقد وَجَدْتُها!

قالَ الرّيفيُّ الطّيّبُ باسِمًا مُتهلّلًا وهوَ يتقدّمُهُ كي يُرِيَهُ ضالَّتَهُ!.

على أنَّ مُفَتِّشَ المَدارسِ تَردّدَ لوهلةٍ، قد يتعرّضُ للسّرقةِ في ذلكَ الحقلِ الكثيفِ ولا شاهِدَ هُناكَ. وأخذَ طريقَهُ بعدَ لَأْيٍ، ورؤوسُ القصبِ الخضرُ تُجَرّحُ يدَيهِ ووجهَهُ. وَثنى ذراعَيه فوقَ رأسِه، لكنّهُ تعثّرَ مرّاتٍ عِدَّةً لصلابةِ الأرضِ تحتَهُ، وتبِعَ السّوقَ المهتزّةَ المُفْعَمةَ بالضّجيجِ حتّى

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وصلَ إلى وسطِ الحقلِ، وهناكَ.. وفي بُقعةٍ قُصَّتْ أعوادُ القصبِ فيها فبدَتْ ملساءَ، جلسَ أربعونَ طالبًا القُرفُصاءَ على الأرضِ الجرداءِ.. لم يكنْ تحتَهم بساطٌ يقيهم صلابَةَ الأرضِ.. كانَ الهدوءُ يلفُّهمْ برداءٍ يبعثُ الرّاحةَ في النّفوسِ، بدا ذلك جليًّا لِمُفَتِّشِ المدارسِ الّذي قارنَ ذلك بصخَبِ عيدانِ القصبِ إبّانَ تَوَجّهَ إليهمْ[6].

6) ما أوّلُ انطباعٍ كوّنَه المُفَتِّشُ عنِ المدرسةِ؟ علامَ يدلُّ ذلكَ؟

واهتزّتِ الرّؤوسُ جماعيًّا في مُحاولةٍ لِحفْظِ جداولِ الضّربِ فيما انحنى قِسْمٌ منهم على ألواحِهمْ يستذكرونَ ما دُوّنَ فيها.. ووُضِعَتْ بعضُ الألواحِ تحتَ الشّمسِ كيما يجفَّ مِدادُها الرّطبُ. وجلسَ مُسِنٌّ يحملُ عصًا على كرسيٍّ مُهَلْهَلٍ مُتداعٍ.. واهنٍ.. رُمّمَ مرّاتٍ عِدّةً، ودُعّمَتْ أطرافُه بشرائحَ حديديّةٍ ثُبِّتَتْ فيه بمساميرَ، أمّا ظهرُ الكرسيِّ فقدْ ثُبّتَ بألواحٍ رُكّبَتْ على إطارِه الأصليِّ. ونهضَ مُعلّمُ الصّبيانِ فجأةً وقدَمُهُ تبحثُ عن فردةِ حذائِهِ:

– وقوفْ! صاحَ المرشدُ آمرًا بالإنجليزيّةِ.

وَهَبَّ التّلاميذُ وقوفًا.. ماسحينَ ما عَلِقَ بظهورِهمْ من غُبارٍ. واستغرقَ المعلّمُ بعضَ الوقتِ كيما يتمالَكُ نفَسَهُ فقدْ أذهلَهُ حضورُ المُفَتِّشِ، ونفضَ الغُبارَ عنِ الكرسيِّ الّذي ترأّسَ به طلبتَهُ، بقطعةِ قماشٍ كانتْ فوقَ كَتِفِهِ قبلَ أنْ يُقَدِّمَ المقعدَ للمفتشِ. ووقفَ الرّيفيُّ مُنتظِرًا إشارةً ما، لكنَّ المفتّشَ شكرَهُ فاختفى كما جاءَ.

– حضورْ، احترامْ، حضورْ. صاحَ المعلّمُ!

– إذًا فهذه هيَ المدرسةُ؟

قالَ المُفَتِّشُ مُجيلًا بصرَهُ فيما حولَهُ وقد قطّبَ جبينَهُ، وابتلعَ المعلّمُ ريقَهُ بصوتٍ مسموعٍ:

– نعمْ سيّدي.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

– وماالذي تُدَرِّسُه لَهُمْ؟ وسمعَهُ المُفَتِّشُ يزدردُ ريقَهُ بصعوبةٍ ثانيةً:

– إنّي أدرّسُهمُ (الأردو) والحسابَ والإنجليزيّةَ والكتابةَ سيّدي.

– منَ الكتبِ المُقرَّرةِ؟

– منَ المُقرَّراتِ.. سيدي!

قالَ ذلكَ قبلَ أنْ يُسَلِّمَ المُفَتِّشَ مجموعةً منَ الكتبِ المُغبرّةِ الرّثةِ كانتْ تحتَ رجْلِ الكرسيِّ. وجالَ المُفَتِّشُ بإصبعِه عَبْرَ مُقرَّرِ «الأردو»، ثمَّ توقّفَ عندَ أحدِ فصولِه، وأمرَ طالبًا أنْ يقرأَ. ونهضَ الصّبيُّ لكنَّه سُرعانَ ما دَلَفَ في رَدَهاتِ الارتباكِ والصّمتِ!

– سَيّدي! هذا كتابٌ للصفِّ الرابعِ، وهوَ طالبٌ في الثّاني!

– كمْ فصلًا لديكَ هُنا؟

– سِتّةٌ سَيّدي! مِنَ الفصلِ الأوّلِ حتّى السّادسِ.

وتبيّنَ للمُفَتِّشِ أنّ ما خالَهُ مجموعةً واحدةً كانت في الواقعِ سِتًّا!

– هذا هوَ الفصلُ الرّابعُ، سَيّدي! قالَ المعلّمُ مُشيرًا بعصاه.

– اقرأْ أنتَ. قالَ المُفَتِّشُ آمرًا أحدَهُمْ.

ونهضَ الصّبيُّ فشرعَ يقرأُ، كانَتْ قراءتُه واضحةً عاليةَ النَّبراتِ. لَمْ يُخطىءِ البتّةَ، كما لَمْ يتتأْتأْ. وبدا جليًّا أنّ المُعَلِّمَ قدِ استردَّ كثيرًا من ثقتِهِ بنفْسِه تبعًا لذلكَ.

– اسألْ فصلًا آخرَ، سَيّدي! قالَ المعلّمُ بحماسٍ!

وطلبَ المُفَتِّشُ منَ الفصلِ الثّاني إجراءَ بعضِ عمليّاتِ الجَمْعِ فأتمَّها معظمُهم بطريقةٍ صحيحةٍ. وقرأَ طالبانِ منَ الفصلِ الأوّلِ الحروفَ الأبجديّةَ دونَ خطأٍ بالطّريقةِ الإيقاعيّةِ الّتي ساعدَتْ على إجادتِها صمًّا،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وَهُـمْ يتأرجحونَ في أماكنِهم إلى الأمامِ والخلفِ، وتلا طالبٌ منَ الصّفِّ السّادسِ نشيدًا بالإنجليزيّةِ بَدْءًا ومُنهيًا على النّسقِ الإيقاعيِّ ذاتِه، وفكّرَ المُفَتِّشُ؛ إنْ كانَ يحفظُهُ عن ظهرِ قلبٍ فشيءٌ رائعٌ، أَوْ كانَ ضمنَ المقرّرِ، وهو مايشكُّ فيهِ فذاكَ أروعُ. وعلى أيِّ حالٍ فقدْ كانَ المستوى الّذي لحظَهُ فوقَ ما يتوقّعُ من طلبةِ المرحلةِ الابتدائيّةِ في المناطقِ الواقعةِ ضمنَ نطاقِه حَقًّا. إنّ هذا المُعَلِّمَ يستحقُّ ما اكتسبَهُ مِنْ سُمعةٍ كالذّهبِ. ونهضَ مُفَتِّشُ المَدارسِ، وقد أثلجَ ما رآهُ صدرَهُ، وسُمِعَ لكرسيِّهِ صريرٌ، فيما بدا المعلّمُ مُبتهجًا باشًّا مسرورًا[7].

7) كيفَ تصفُ مستوى المدرسةِ؟ وكيفَ تصفُ إحساسَ المفتّشِ؟

– وقوفْ. صاحَ المرشدُ. بدا صوتُه أعلى من ذي قبلُ.

وخرجَ مُفَتِّشُ المَدارسِ، أمّا المعلّمُ فتبعَهُ حاملًا عصاهُ. ستتحدّثُ القريةُ وما جاورَها عن ذلك الحدثِ أيّامًا عدّةً.. وتنفَّسَ مُفَتِّشُ المَدارسِ الصُّعداءَ حالَ خروجِه منَ الحقلِ:

– لماذا تنتقلُ بمدرستِكَ على هذا النّحوِ، أليسَ بوَسعِك استئجارُ غرفةٍ؟

– أستأجرُ؟ سَيّدي!!

– حسنًا.. لِمَ لا تفعلُ؟

– كلّا. لا أحدَ يرضى أنْ يُعطيَنا غرفةً واحدةً سيدي! إنّهم لايريدونَ مدرسةً هُنا، لقد أوضحوا ذلك مرّاتٍ عدّةً، إذْ إنّ كثيرًا منهمْ يرونَ في التّعلّمِ مضيعةً لأوقاتِ الأولادِ الّذينَ يعتقدونَ بأنّ عليهم إزجاءَ الوقتِ في عملٍ نافعٍ مفيدٍ بدلًا منَ اللّهوِ الدّراسيِّ! وبأنّه حريٌّ بهمْ أنْ يساعدوا آباءَهمْ في الحقولِ ورعيِ الماشيةِ – لكنَّ السّيّدَ «شادري علي محمّد» الزّعيمَ.. هوَ الوحيدُ الّذي ينظرُ إلينا بعينِ التّفهُّمِ والعطفِ ياسَيّدي! إنّه يدركُ الأهميّةَ القصوى للتّعليمِ، إنّه لايستطيعُ تأمينَ غُرفةٍ لنا أَوْ حتّى قطعةِ أرضٍ، لكنّهُ منحَنا ظِلَّ شجرةِ الشّيشامِ الّتي يملكُها لنتفيّأَهُ طوالَ المَوسمِ، حتّى حَلَّ أوانُ حَرْثِ أرضِها، وها نحنُ هذا الموسمُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نستخدمُ حقلَ القصبِ الّذي يملكُهُ.

- جميلٌ أنْ قامَ بإخلاءِ وسطِ الحقلِ وإعدادِهِ لكم.

- نعمْ، سَيّدي، جميلٌ أنْ يسمحَ لنا بتنظيفِ وسطِ الحقلِ، لقدْ قُمْتُ والأولادَ بجني القصبِ في هذه البقعةِ، سَيّدي، واستغرقَ العملُ منّا أيامًا ثلاثةً، حتّى طلبةُ الفصلِ الأوّلِ عملوا معنا بكلِّ دَأَبٍ منَ الثّامنةِ صباحًا حتّى صلاةِ المغربِ، وبعدَها كانَ لزامًا أنْ نتوقّفَ عنِ العملِ لحلولِ الظّلامِ. وكنّا نربطُ المحصولَ في حزمٍ نُحمِّلُها على عربةِ السّيّدِ «شادري» الّتي كانت تجرُّها العجولُ. لقدْ قالَ السّيّدُ «شادري» إنّ علينا أَنْ نُثَمِّنَ التّعليمَ، ونقدّرَهُ، فكانتْ تلكَ هيَ الطريقةُ الوحيدةُ لإثباتِ ذلك.

وخلعَ مُعَلّمُ الصّبيانِ عِمامتَهُ البيضاءَ فبدا أعلى رأسِه وقدْ توسّطَتْ بقعةٌ صلعاءُ شعرَهُ المطليَّ بالحنّاءِ، كانَتْ ثَمّةَ دموعٌ تترقرقُ في مُقلتَيهِ، وتغيّرَ صوتُه لوهلةٍ فبدا أجشَّ بعضَ الشّيءِ متهدّجًا.

- لقد فَقَدْتُ شَعري لكثرةِ ماحملْتُ على رأسي من رِزَمِ القصبِ.

واعتمرَ عِمّتَهُ ثانيةً، ثُمَّ نظرَ إلى البعيدِ مُشيحًا ببصرِهِ، وَشَرعا يمشيانِ جَنْبًا إلى جَنْبٍ؛ مُفَتِّشُ المَدارسِ وَمُعلّمُ الصّبيانِ الذي كانَ يسيرُ في خُطًى غيرِ مستقيمةٍ[8].

8) مِنْ هذا الحوارِ؛ كيفَ تصفُ المُعَلِّمَ وتلاميذَه؟

- سَيّدي! فقطْ لو كانَ لدينا غُرفةٌ، غُرفةٌ واحدةٌ فقطْ!..قالَ المعلّمُ في نبَراتٍ هادئةٍ، فإنْ لم تكنْ غُرفةً فقطعةٌ صغيرةٌ منَ الأرضِ وسوفَ نبنيها. الأولادُ وأنا. قد يستغرقُ الأمرُ فصلًا كاملًا. لكنّنا سننجزُ ذلك إنْ شاءَ اللّهُ.

وَمضى مُفَتِّشُ المَدارسِ في طريقِه قُدُمًا دونَ أنْ ينبسَ ببنتِ شَفةٍ.

- أعلمُ، سَيّدي، أنّي قد أكونُ مغاليًا بطلبِ رقعةِ أرضٍ، وبأنّه لا أحدَ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

يرغبُ في وجودِ مدرسةٍ هُنا، ولكنّي أرحّبُ بإعطائِنا أرضًا في أيِّ مكانٍ كانَ... هناكَ أرضٌ في النّاحيةِ المهجورةِ منَ القريةِ سوفَ أكونُ سعيدًا بإنشاءِ مدرسةٍ هناكَ، سَيّدي هذا أفضلُ من.....

لكنَّ مُراقبَ المدارسِ كانَ يلوذُ بالصّمتِ! صَمْتٌ مُطبِقٌ رهيبٌ! يكادُ يرى الاقتراحَ يُرفَضُ[9]....هو واثقٌ مِنْ ذلكَ؛ إذْ إنّ الحكومةَ لَمْ تكنْ تسمحُ بتخصيصِ أرضٍ لمدرسةٍ ابتدائيّةٍ. كانَ على النّاسِ أنْ يقوموا بتأمينِ ذلك، فكيفَ سيتغيّرُ ذلك الآنَ؟ القانونُ هوَ القانونُ. وتنهّدَ في حسرةٍ.. قطعةُ أرضٍ صغيرةٌ.. ثُمَّ؟.. كَمْ مِنَ المعلمينَ كانوا بمثلِ إخلاصِ هذا المعلّمِ وتفانيهِ! كَمْ منهمْ كانَ يهتمُّ بذلكَ؟ وَكَمْ منهمْ كانَ بإمكانِه مواجهةَ لامبالاةٍ كهذهِ؟ كلّا لَمْ يستطعِ استرجاعَ حالةٍ واحدةٍ طيلةَ سِنيِّ عملِه الثّلاثِ.

وَركِبَ سَيّارتَه الجيبَ، وردَّ سلامَ المعلّمِ البشوشِ بإيماءةٍ مِنْ يدِهِ قبلَ أنْ تنهبَ عربتُهُ الطّريقَ.. لَمْ يستطعْ.. كلّا، لَمْ يستطعْ مواجهةَ نظراتِ الرَّجُلِ المتوسِّلةِ[10].

9) إلامَ تشيرُ هذه العبارةُ؟

10) كيفَ تتخيّلُ شعورَ المفتّشِ عندَ هذه اللّحظةِ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

العباءةُ *

عائشة خلف الكعبي

هَكَذا ابْتَدَأَتِ الحِكايَةُ..

ذاتَ مَساءٍ مَنَعَني ضِرْسٌ عَنيدٌ –أَبى أنْ يرتضيَ الخلعَ مصيرًا– مِنَ العَوْدَةِ إلى المَنْزِلِ باكِرًا. ما إن انْسَلَّ المَريضُ الأَخيرُ خارِجًا مِنَ العِيادَةِ مُسْنِدًا وَجْهَهُ إلى راحَةِ كفِّهِ حَتّى قَفَزْتُ مِنْ مَقْعَدي، وتَناوَلْتُ حَقيبَتي، وصِحْتُ بها مُوَدِّعَةً، وأَنا أَهُمُّ بالخُروجِ:

– «لَيْلَةً سَعيدَةً، دُكْتورَةُ».

اِسْتَوْقَفَني نِداؤُها، فأَقْفَلْتُ عائِدَةً، ودَلَفْتُ إلى غُرفَتِها حَيْثُ كانَتْ هِيَ أَيْضًا تَسْتَعِدُّ للخُروجِ، خَلَعَتْ مِعْطَفَها، وانْحَنَتْ تَلْتَقِطُ كيسًا، دَسَّتْهُ تَحْتَ المِنْضَدَةِ، وَسلَّمَتنيه.

– «ما هَذا؟» سَأَلْتُ، وأَنا أَحْشُرُ يَدي في جَوْفِهِ.

– «عَباءَةٌ».

اِنْداحَتْ قِطْعَةٌ حَريرِيَّةٌ لامِعَةُ السَّوادِ، بَسَطَتْها في مُواجَهَتي مُمْسِكَةً بها مِنْ مَوْضِعِ المَنْكِبَيْنِ، فانْسَدَلَتْ بَيْنَ يَدَيَّ كأَجْمَلِ عَباءَةٍ، رَأَتْها عَيْني، يَتَوَسَّطُ صَدْرَها (بُروشٌ) فِضِّيٌّ هِلالِيٌّ الشَّكْلِ مُرَصَّعٌ بأَحْجارٍ مِنَ الفَيْروزِ، وتَمْتَدُّ أَسْفَلَهُ عَلى شَكْلٍ مِرْوَحَةٍ يَدَوِيَّةٍ مَقْلوبَةٍ قِطْعَةُ (دانتيلَ) فاخِرَةٌ، حيكَتْ عَلى شَكْلِ كَسْراتٍ، تَتَّسِعُ مَعَ انْحِدارِ العَباءَةِ، وتَنْفَرِشُ في نِهايَتِها، كَأَنَّها ذَيْلُ حورِيَّةِ بحْرٍ، انْبَجَسَتْ مِنْ إِحْدى الأَساطيرِ.

– «اِبْتَعْتُها في مُناسَبَةِ زَفافٍ، ولَكِنَّني لَمْ أَرْتَدِها مُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ، فقَدْ زادَ وَزْني كَثيرًا مَعَ الحمْلِ كما تَرَيْنَ، ورَأَيْتُ أَنَّها قَدْ تُناسِبُكِ أَرجو أنْ تقبليها منِّي».

– «إِنَّها جَميلَةٌ، إِنَّما لا أَظُنُّني في حاجَتِها، فأَنا لا أَلْبَسُ العباءةَ».

– «ولِمَ لا؟!».

قالَتْ جُمْلَتَها تلكَ وابْتَسَمَتْ؛ وهِيَ تُرَبِّتُ على يَدي القابِضَةِ عَلى العَباءَةِ، فبادَلْتُها الابتسامةَ

* غُرفةُ القياسِ 93، الطّبعة الأولى، دائرة الثقافة والإعلام في الشّارقة 2007 م.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وشكرتُها، ثـمَّ حملتُ هديّتي وغادرتُ المكانَ.

أَوَّلُ ما فَعَلْتُهُ حينَ أَغْلَقْتُ بابَ غُرْفَتي عَلَيَّ هُوَ أَنَّني قُمْتُ بتَجْرِبَتِها، شَهَقْتُ حينَ وَقَعَ بَصَري عَلى انْعِكاسِ صورَتي في المِرْآةِ! لَكَأَنَّها فُصِّلَتْ لي! دُرْتُ حَوْلَ نَفْسي مَزْهُوَّةً بجِمالِ مَظْهَري الجَديدِ، وأَنا أُتَمْتِمُ على رأيِ الدُّكْتورَةِ:

- «ولِمَ لا؟!».

سَحَبْتُ (الشَّيْلَةَ) مِنَ الكيسِ، وقَدْ أُطِّرَتْ أَطْرافُها بقِطْعَةِ (الدّانتيلِ) نَفْسِها، ورُصِّعَتْ إِحْدى زَواياها بـ(البُروشِ) الفِضِّيِّ نَفْسِهِ الّذي توسّطَ صَدرَ العباءةِ، وَضَعْتُها عَلى رَأْسي، واسْتَدَرْتُ، لأُلْقي نَظْرَةً عَلى المِرْآةِ، ولفَرْطِ جَمال ما رَأَيْتُ قَرَّرْتُ أَنْ أَرْتَديها صَباحَ اليَوْمِ التّالي.

فَجْأَةً..

جَحَظَتْ عَيْنايَ حينَ لَمَحْتُ طَرَفَ حِذاءِ (التِّنِسِ) الأَبْيَضِ يُطِلُّ كجُرَذٍ سَمينٍ مِنْ تَحْتِ العَباءَةِ، نَسَلْتُهُ مِنْ قَدَمَيَّ مِنْ فَوْري، وهَرَعْتُ إِلى صَفٍّ مِنَ الأَحْذِيَةِ خَلْفَ البابِ، أَنْبُشُ عَنْ حِذاءٍ، يَليقُ بفخامَةِ المَحروسَةِ، فلَمْ أَجِدْ سِوى أَحْذِيَةٍ خَفيفَةٍ مِنْ ذلكَ الصَّنفِ الّذي ترتديه المُمرِّضاتُ، وبَعْضِ الصَّنادِلِ الصَّيْفِيَّةِ.

يا لَبُؤْسي!

أَنا فَتاةٌ لا تُحْسِنُ الاهْتِمامَ بمَظْهَرِها، لَكِنَّ هَذا سَيَتَغَيَّرُ مِنَ الآنِ، ويَجْدُرُ بي أَلاَّ أَتَعَجَّلَ ارْتِداءَ هَذِهِ القِطعةِ الفَنِّيَّةِ حَتّى أَتَمَكَّنَ مِنْ جمعِ الكماليّاتِ المُلائِمَةِ لها.

بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيّامٍ عُدْتُ أَحْمِلُ عُلْبَةَ حِذاءٍ جَديدٍ، وبِسُرْعَةِ البَرْقِ أَخْرَجْتُ العَباءَةَ مِنْ كيسِها المخبوءِ بِعنايةٍ في الدّولابِ، ارْتَدَيْتُها مِنْ فَوْري، ثُمَّ تَناوَلْتُ الحِذاءَ الجَديدَ مِنْ عُلْبَتِهِ، ودَسَسْتُهُ بكُلِّ رِفْقٍ في قَدَمي، وأَنا ما أَزالُ أَتَأَمَّلُ جَمالَهُ، ابتَسَمتُ قانِعةً باختياري الُموفّقِ، فقَدْ بَدا الحِذاءُ الأَسْوَدُ ذو الرَّبْطَةِ الفِضِّيَّةِ مُتَناسِقًا وتَصْميمَ العَباءَةِ.

أَخَذْتُ أَذْرَعُ الغُرْفَةَ، ورَأْسي يَتَلَفَّتُ إِلى المِرْآةِ، ضَغَطَ الحِذاءُ على قَدَمي، وكادَ يُفْقِدُني تَوازُني في بعضِ الأحيانِ، إِلاّ أَنَّني أَقْنَعْتُ نَفْسي بأَنَّها مَسْأَلَةٌ سَأَعْتادُها كوني لا أُحَبِّذُ ارْتِداءَ هَذا النَّوْعِ مِنَ الأَحْذِيَةِ العالِيَةِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

اعتراني شُعورٌ بِالقلقِ، وأنا أَحفَظُ الحِذاءَ إلى جانِبِ العَباءةِ في الرُّكنِ الأَسْفلِ منَ الدُّولابِ. لقدْ أَنفقتُ كُلَّ ماتبقّى منْ راتبي ثمنًا لهذا الحِذاءِ، لكنّني عُدتُ فَطَمأنْتُ نفسي، مُتعلِّلةً بالأيّامِ الخَمسَةِ المُتبقيَّةِ على انْتهاءِ الشَّهرِ.

بَعْدَ أُسْبوعٍ وَلَجْتُ إلى غُرْفَتي، وأَنا أَتَأَبَّطُ كيسًا وَرَقِيًّا مُنْتَفِخًا، أَلْقَيْتُ بِهِ عَلى السَّريرِ، وعَمَدْتُ إِلى دولابي، أَسْتَخْرِجُ مِنْهُ العَباءَةَ والحِذاءَ، لَبِسْتُ العَباءَةَ وانْتَعَلتُ الحِذاءَ، ثُمَّ الْتَقَطْتُ الكيسَ، وأَخْرَجْتُ مِنْهُ الحَقيبةَ الجَديدَةَ الَّتي ابْتَعْتُها، لأَجلِ العَباءَةِ، صِحْتُ وأَنا أَتَمَلى مَظْهَري في المِرْآةِ:

– «أَيُّ تَناغُمٍ هَذا؟! لَمْ أَكُنْ أَحْلُمُ بالعُثورِ عَلى حَقيبَةٍ تُناسِبُها إلى هَذِهِ الدَّرَجَةِ!».

كانَتِ الحقيبةُ مخمليةً سوداءَ بكسْراتٍ، زُمَّ منتَصَفُها بهلالٍ فضيٍّ.

باقْتِناءِ هذهِ الحقيبةِ أَكونُ شبهَ مستعدّةٍ للخروجِ إلى النّاسِ بحُلَّتي الجديدةِ.

دَنَوْتُ مِنَ المِرْآةِ أَكْثَرَ، وأَخَذْتُ أُحَدِّقُ فيها، وأَصابِعي تَتَخَلَّلُ خُصَلَ شَعْري الذّهَبيَّةَ المُجَعَّدَةَ، عَزَمْتُ أَمْري، وأَخَذْتُ أَنْزِعُ مُقتنياتي الثَّمينَةَ، وأُعيدُها بحِرْصٍ إلى مَخْبَئِها في الدّولابِ.

في ظُهرِ اليَوْمِ التّالي عُدْتُ، وأَنا في شَوْقٍ إلى (البُروفَةِ) النِّهائِيَّةِ، فَقَد عَمِلْتُ طيلَةَ الفترةِ المُنصرِمَةِ عَلى تَجْميعِ التَّفاصيلِ الَّتي تُكَوِّنُ هَذِهِ الطَّلَّةَ الجَديدَةَ، وكَأَنَّها أُحْجِيَةُ الصّورَةِ المُقَطَّعَةِ الَّتي كانَ عَلَيَّ أَنْ أُعيدَ تَرْتيبَها، لتَتَجلّى أَمامي الصّورَةُ كامِلَةً.

لَبِسْتُ العَباءَةَ، وانْتَعَلْتُ الحِذاءَ، وحَمَلْتُ الحَقيبةَ، رَتَّبْتُ خُصَلَ شَعْري الأَسْوَدِ النّاعِمِ في انْسِيابٍ مائِلٍ عَلى جَبيني، وَضَعْتُ الأَقْراطَ الفِضِّيَّةَ الَّتي اسْتَعَرْتُها مِنْ شَقيقَتي الكُبْرى، وبَسَطْتُ ظِلَّ العُيونِ الفَيْروزِيَّ عَلى جَفْني العُلْوِيِّ، ورَسَمْتُ خَطًّا فِضِّيًّا أَسْفَلَ العَيْنينِ.

– «هَذِهِ أَنا؟!».

هَذا المَساءَ..

سَيَسْطَعُ نَجْمي، سَيَتَعَجَّبُ النّاسُ مِنْ فَتاةٍ مُتَأَلِّقَةٍ مِثْلي في عِيادَةٍ حَقيرَةٍ كَهَذِهِ. أَجَلْ. سَأُدْهِشُهم جميعَهم هَذا المَساءَ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

هـذا المسـاء... أَرتمـي عَلـى سَـريري، يَعْلـو نُواحـي كُلَّمـا وَمَـضَ رَقَـمُ العِيـادَةِ عَلـى شاشَـةِ هاتِفـي المَحْمـولِ، وإِلـى جِـواري عَبـاءَةٌ مُلْقـاةٌ، يَتَوَسَّـطُها خَـرْقٌ تَفَحّمـتْ أطْرافُـهُ فـي حَجْـمِ مِكْـواةٍ كَهْرَبائِيَّـةٍ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قِصَّةُ العَمِّ خَشَبَةٍ *

مريم السّاعدي

تَتحوّلُ الأجسادُ إلى أَخشابٍ إذا لَمْ تَتحرّكْ، وبما أنَّهُ لم يَتحرَّكْ مُنْذُ عَرَفْنَاهُ، فقدْ صارَ خَشبةً، نَدعوهُ: عَمَّنا الخشبةَ، والكِبارُ يصرخونَ بوجوهِنَا مُعَنِّفينَ، ودائمًا يُرَدِّدونَ "الأطفالُ قُساةٌ". وقد كُنَّا كذلكَ.

عَمُّنا الخَشبةُ يَسكُنُ في البَيتِ المُقابلِ معَ الجَدَّةِ ... أُمِّهِ، وعَرَفْنا أنَّ جَدَّتَنَا هي الأُمُّ للعَمِّ، وأدرَكْنا أنَّهُ –حتَّى الأخشابُ– تكونُ لَها أُمَّهاتٌ، كُنَّا نَتعلَّمُ كثيرًا، حسبَ ما يحلو لَنا.

غُرفَتُهُ بَيضاءُ، جُدرانُها والسَّريرُ، وَكُلُّ شَيْءٍ، سوى عَيْنَيْهِ الحَمراوينِ، وَوَجْهِ أُمِّهِ البُنِّيِّ المُجَعَّدِ، وَكُنَّا نَضحكُ على وَجْهِها، وَظَهْرِها المُنحني مِنْ كَثرةِ الهَمْسِ معَ الخَشبَةِ.

وبما أنَّهُ كانَ جَسَدًا أُفقيًّا ثابتًا، وَكانَتْ هيَ جَسَدًا عَموديًّا مُتَحرِّكًا صارَ لابُدَّ أنْ تَنحنيَ كثيرًا حتّى تُحَدِّثَهُ.. تَسْمَعَ ما يَقولُ .. تُطعِمَهُ.. تَغسِلَ وَجْهَهُ.. تُمَشِّطَ شَعْرَهُ .. تُنَظِّفَ ما بينَ أَصابِعِهِ.. خَلْفَ رَقَبَتِهِ.. تحتَ ذِراعَيْهِ ... كُلَّ مَكانٍ. وَكُنَّا نَنْتَظِرُ خارِجًا حتّى تَنتهيَ، وَتقولَ: هذا وَقْتُ استحمامِ عَمِّكُمْ ... وَنندَهِشُ ... حتّى الأخشابُ تَستحمُّ !..[1]

1) ما مَظاهِرُ رِعايَةِ العَجوزِ لِخَشَبَة؟

وَيحصُلُ أنْ نَدخُلَ فَنراهُ صامِتًا، يَفتَحُ عَينيهِ، وَيُغلِقُهُما... يَنظُرُ للأَعلى وَللأَسفَلِ... وَيُكَرِّرُ ذلِكَ مِرارًا، دونَ أنْ يَلتفِتَ إلينا. وَحينَ تَرانا العَجوزُ تُشيرُ إلينا بالصَّمْتِ ... فالعَمُّ يُصَلّي ... وَنَندهِشُ .. حتّى الأخشابُ تُصَلّي!

وبِدايَةُ كُلِّ شَهْرٍ كانَتْ حَفْلَةً لَنا، نَزورُهُ كُلُّنا، نَحْنُ –الأطفالَ القُساةَ– أبناءُ الإخوةِ وَالأَخواتِ، وحينَ نَدخُلُ يَفرَحُ دونَ أنْ يَتحرَّكَ، فقطْ يَفرَحُ بِعَيْنَيْهِ، وَيتحدَّثُ عن أيَّامِهِ عندما كانَ بِحَجْمِنَا، وَنضحكُ، وَنتصوَّرُهُ

* من المجموعةِ القصصيّةِ «مريم والحظّ السّعيد» – صادرة عن هيئة أبو ظبي للثّقافة والتّراث / 2009.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

خَشـبةً صَغيـرةً مُسـطَّحَةً، وَنقـولُ: حتَّـى الأخشـابُ تَكبُـرُ!

لَـمْ نَكُـنْ نَشْـعُرُ بالحُـزْنِ عليـهِ، تَصوَّرْنـا أنَّ البَشـرَ قِسْـمانِ: قِسْـمٌ يَتحـرَّكُ مِثْلَنـا، وَقِسْـمٌ مُتَخشِّـبٌ مِثْلُـهُ. قالـوا: كانَ شـابًّا طيِّبًـا، وَشـهمًا، مـاذا تَعنـي "شَـهمًا"؟ قالـوا: لَـمْ يَكُـنْ مـا فـي جَيْبِـهِ مُلْكًا لَـهُ، وَهـذا مـا كانَ يَهُمُّنـا؟!

2) ما دِلالة ما تَحْتُهُ خَطٌّ على شَخْصِيَّةِ الأطفالِ؟

لـم نَكُـنْ نَتحـدَّثُ مَعَـهُ، كانَ فقطْ هوَ مَـنْ يُحَدِّثُنـا، وَإذا تَحدَّثْنا أَجَبْنـا باقتضابٍ" نَعـمْ .. حاضِـرْ.. لا" وَكُنَّـا نَجلِـسُ بِسَـأَمٍ، مُتَمَلْمِلِيـنَ، نُحَـرِّكُ أقدامَنـا، وَأحيانًـا نُفَرقِـعُ أصابِعَنـا، أوْ نَفـرُكُ أَعْيُنَنـا... نَتثـاءَبُ ... نَفتَـحُ أفواهَنـا لآخِرِهـا.... " نَتثاااءبُ" وَهـوَ يواصِـلُ أحاديثَـهُ، عَـنْ كيـفَ بَـدا حيـنَ كانَ بِعُمرِنـا، وَأيْنـا كانَ أقـربَ شَـبهًا بِـهِ، أوْ عَـنْ ذِكرياتِـهِ مَـعَ إخوتِـهِ... آبائِنـا وَأُمَّهاتِنـا.... وَمـاذا تمنَّـى أنْ يكـونَ حيـنَ يَكبـرُ؟ وَكـمْ تمنَّـى أنْ يكـونَ ضابِـطَ شُـرطَةٍ... وَكيـفَ لـم يَكُـنْ يَعـرِفُ أنَّـهُ سَـيتحوَّلُ إلـى خَشَـبةٍ، "كمـا تُسَـمُّونني أنتُـمْ.. خَشـبةً" ... يَتطلَّـعُ إلينـا، وَيضحـكُ، وَنتطلَّـعُ إلـى تحـتِ المِخَـدَّةِ... وَنتثـاءَبُ.

3) ما الَّذي كانَ يُحدِّثُ به خَشَبَةُ الأطفالَ؟ وكَيْفَ كانَ الأَطْفالُ يقابلونَ حَديثَهُ؟

فـي كُلِّ شَـهرٍ يُعيـدُ الحَكايـا نَفْسَـها، وَنتطلَّـعُ بِمُنتَهـى الصَّبـرِ والغَيْـظِ لانتهـاءِ الزِّيـارَةِ للخَشَـبَةِ الثَّرثـارَةِ. نُحَـدِّقُ فـي عَيْنيـهِ الحَمراويـنِ كُلَّمـا حَرَّكَهُمـا باتِّجـاهِ الجَـدَّةِ... الآنَ سَـيتوقَّفُ عَـنِ الـكلامِ... الآنَ سَيُشـيرُ عليهـا أنْ تُخْرِجَهـا مِـنْ تَحـتِ المِخَـدَّةِ، المِحفظَـةُ السَّـوداءُ أَجمَـلُ مـا فـي الوجـودِ، إنَّهـا كَنْزُنـا الشَّـهريُّ الموعـودُ.

لَـمْ يَكُـنْ غَنيًّـا، كانَـتْ - فقـطْ - نُقـودَ الإعانـةِ الشّـهريَّةِ التـي تَصرِفُهـا لَـهُ الدَّولـةُ، وَنـادرًا مـا كانَ يشـتري بهـا أشـياءَ لِنَفْسِـهِ... "نَفْسِـهِ؟"... لَـمْ نَتصـوَّرْ أنَّ لَـهُ نَفْسًـا أَصـلًا، أَرَدْنـا كُلَّ النُّقـودِ لنـا. وَحيـنَ نَـرى العجـوزَ وَقـدْ استبقَتْ بعـضَ الأوراقِ فـي المِحفظـةِ نَشـعُرُ بالغَيْـظِ... مـا عَسـاهُما يَفعـلانِ بالمـالِ؟!!. إنَّهـا رِحْلَـةٌ شَـهريَّةٌ مُتعِبَـةٌ وَمُربِحَـةٌ... تَعلَّمْنـا حينَهـا أنَّ النُّقـودَ لا تأتـي إلّا مِـنْ خِـلالِ سُـبُلٍ مُتْعِبَـةٍ.

4) هلْ تَرى أنَّ الجُلوسَ مَعَ خشَبَةَ للحُصولِ على المالِ أَمْرٌ مُتْعِبٌ فعْلًا؟ علِّقْ على رأيِ الطِّفْلِ فيما تحْتَهُ خَطٌّ؟

حيـنَ رَحـلَ شَـعَرْنا بالحُـزنِ الشَّـديدِ، وَبكينـا كثيـرًا... كثيـرًا جـدًّا، علـى فِـراقِ تِلـكَ المِحفظَـةِ السَّـوداءِ للأَبَـدِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

اليـومَ... حيـنَ مَـررْتُ علـى البيـوتِ القَديمَـةِ، رَغِبْـتُ بِدُخـولِ مَنـزلِ العَـمِّ "خشـبة"، لكنَّـهُ أصبـحَ يَسـكُنُهُ أغـرابٌ، فاكتفَيْـتُ بالفُرْجَـةِ عليـهِ مِـنْ بَعيـدٍ... مِـنَ الخـارِجِ... صِـرْتُ أَشـتهي الدُّخـولَ، وَأتذكَّـرُ حيـنَ كُنْـتُ فـي الدَّاخِـلِ وَبَصـري مُعَلَّـقٌ بالنَّافِـذَةِ أَشـتهي الخُـروجَ.

أَودُّ لَـوْ يَعـودُ؛ لِأَسْـتَمِعَ لَـهُ أكثرَ؛ وَلِأُنْصِـتَ باهتمـامٍ لِـكُلِّ مـا يَقـولُ؛ وَلِأُجيبَـهُ بِإسْـهابٍ عَـنْ كُلِّ مـا يَسـأَلُ؛ وَلأضحَـكَ حيـنَ يَضحَـكُ؛ وَلِأُطْعِمَـهُ بيـدي، وَعَيْنـا الجَـدَّةِ تُراقِـبُ أَطبـاقَ الطَّعـامِ لَـهُ، ليتَـهُ يعـودُ؛ لأجلِـبَ لَـهُ مَعـي فـي كُلِّ زيـارَةٍ باقَـةَ ورودٍ وَحُفَـنَ طيـنٍ وأوراقَ شَـجرٍ؛ لِأُحْضِـرَ لَـهُ معـي رائِحَـةَ الشَّـمْسِ والهـواءِ والمَطـرِ... رائِحَـةَ القَمـرِ والنُّجـومِ والسُّـحبِ؛ لأفتـحَ لَـهُ النَّوافِـذَ، وَأحكـي لـه حكايـا العالَـمِ الخارجيِّ؛ لأرسُـمَ لـه الدُّنيـا بِكُلِّ ألوانِهـا وَصخَبِهـا؛ ولُأغـادِرَ غُرفَتَـهُ... دونَ نُقـودٍ.[5]

5) بِرَأْيِكَ إلى ماذا تَرْمِزُ كل هذهِ التَّفاصيلِ الَّتي سَرَدتْها الكاتِبَةُ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الحَصّالَةُ

د. أحمد زياد محبّك

شهرٌ كامِلٌ، وعشْرةُ أيّامٍ، شهرٌ طويلٌ، وعشْرةُ أيّامٍ أطولُ مضَتْ وخالدٌ يُصبِّرُ نفسَهُ، في كلِّ يومٍ يُلقي قِطعًا نقديّةً صغيرةً في حَصّالتِهِ الفخّاريّةِ، لا يُنفِقُ شيئًا، ولا يَشتري شَيئًا، إلّا ما كانَ ضَروريًّا، حتّى يوفِّرَ المبلغَ الأكبرَ، وفي كُلِّ يومٍ يُلقي فيها قِطعةً، يَرُجُّها، وَيُنصِتُ إلى صوتِها، وَيتحسَّسُ بيدَيْهِ ثِقْلَها، وقدْ أخذَتْ يومًا بعدَ يومٍ تزدادُ وزْنًا، فيحلُمُ بها وقدِ امتلأتْ.[1]

1) كَيْفَ تَصِفُ علاقةَ خالدٍ بِحَصّالَتِهِ؟

ومعَ كُلِّ يومٍ، كانَ حُلْمُهُ يكبُرُ، ويزدادُ قُربًا، حتّى لَيَحْسَبَهُ قدْ تحقَّقَ. وكانَ أوّلُ ما حَلُمَ بهِ هوَ درّاجَةٌ، كانَ يتَصوَّرُها في البَدءِ مُجرَّدَ درّاجَةٍ، لكنْ يومًا بعدَ يومٍ، أخذتْ مَلامِحُها تتَّضِحُ، وتفاصيلُها تتحَدَّدُ، فقدْ أخذَ يتَصوَّرُ عَجلَتَيْها، وَمِقْودَها، وهيكَلَها، ومِقْعدَها، ثُمَّ أخذَ يتخَيّلُ إطاري العَجَلتينِ، ويتخيَّلُ ما على المِقودِ مِنْ مِصباحٍ، ومِزْمارٍ، ومِرْآتَيْنِ جانِبيَّتينِ، ثُمَّ تطوَّرتِ الصّورَةُ؛ فها هوَ ذا يَرى المُوَلِّدَ الصَّغيرَ المُعَلَّقَ عَلى العَجَلَةِ الخَلفيَّةِ، والمِصباحَ الأحمَرَ، والرّيشَ المُلوَّنَ بالأخْضرِ والأصْفرِ، في مِقْوَدِها، وهوَ ينطَلِقُ بِها إلى حيثُ يَشاءُ، والنّاسُ يَسيرونَ عَلى الرَّصيفَيْنِ وهوَ يَستخدِمُ المِزْمارَ، وَيضيءُ المِصباحَ، فَيفرشُ الطَّريقَ بالنّورِ أَمامَهُ، وأكْثرُ ما كانتْ مِثْلُ هذِهِ الصّورَةِ تُراوِدُهُ في المَساءِ، حيْنَ يَأوي إلى فِراشِهِ، فَيَعيشُها في مُخَيِّلَتِهِ سَعيدًا، قَبْلَ أَنْ يَغفوَ، ثُمَّ يَسْتَسلِمَ للنَّومِ، وهوَ يَحلُمُ بِها، وما يَلْبَثُ أنْ يُحِسَّ بِها في الصَّباحِ الباكِرِ، في أواخِرِ نومِهِ، قُبَيْلَ أنْ يَستيقِظَ، حتّى لَيَشْعُرَ بانْسيابِها الرَّخيمِ الهادِئِ، وهيَ تَنْطلِقُ بِهِ في كُلِّ الأرجاءِ، ويستيقظُ، فَيُسرِعُ إلى حَصّالَتِهِ، يَتَحَسَّسُ ثِقلِها، ويُنْصتُ إلى صوتِها.

وجاءَ اليَومُ الَّذي قرَّرَ فيهِ كَسْرَها، فقَدْ ازْدادتْ ثِقلاً، وإنْ كانَتْ في الحَقيقَةِ لَمْ تَمْتَلِئْ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنَ الصَّبْرِ شَيْءٌ، وَبِضَرْبَةٍ خَفيفَةٍ مِنَ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

المِطْرَقَةِ، انْفَلَقَتْ مُنْشَطِرَةً إلى نِصْفَيْنِ، وانْدَلَقَتْ مِنْها النُّقودُ، مُتَدَفِّقَةً، وَتَدحْرَجَتْ مِنْها بَعضُ القِطَعِ النَّقديَّةِ، وَتَفَرَّقَتْ في أَرْضِ الغُرْفَةِ، تَحْتَ الأثاثِ، فلاحَقَ إحْداها وَهيَ تَفِرُّ مِنْ يَديْهِ، راكِضَةً، لِتَسْتَقِرَّ تَحْتَ السَّريرِ، بَعْدَ دَوْراتٍ صَغيرَةٍ، رَسَمَتْها عَلى الأرضِ.

عادَ إلى الحَصّالَةِ، وَالنُّقودُ مُنْثالَةٌ مِنْها، فَأَخَذَ يَجمعُها وَيضُمُّها بينَ يديْهِ، وَأخَذَتْ صورَةُ الدَّرّاجَةِ تومِضُ في ذِهْنِهِ، لكِنَّهُ ما عادَ يُتاحُ لَهُ أَنْ يَتَأَمَّلَها، فما هيَ بالواضِحَةِ، وَالمالُ بينَ يديْهِ يَشغَلُهُ عنْها، وعلَيْهِ أنْ يَعُدَّهُ، ها هوَ ذا يَضطَرِبُ، وَيُخْطِئُ في العَدِّ، وَيُعيدُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، ويوزِّعُ النُّقودَ عَلى فِئاتٍ، وَيُفَكِّرُ في نُزولِهِ إلى السّوقِ، مَعَ أَبيْهِ؛ لِشراءِ الدَّرّاجَةِ.

جَمَعَ النُّقودَ في قِطْعَةِ قُماشٍ صَغيرَةٍ، لَفَّها بِها، ثُمَّ رَجا أُمَّهُ أَنْ تُعْطِيَهُ شَيئًا مِمّا يَتَوَقَّعُ أَنَّها تَدَّخِرُهُ؛ لِيَسْتَكْمِلَ ثَمَنَ الدَّرّاجَةِ، وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيْهِ أُمُّهُ بِما تَسْتَطيعُ أَنْ تُقَدِّمَهُ لَهُ، ولكِنْ كانَ عليْهِ أنْ ينتظِرَ حتّى يَجيءَ والِدُهُ إلى البيتِ، معَ آخِرِ النَّهارِ.[2]

2) ما مَوْقِفُ أُمِّ خالِدٍ مِنْ شِراءِ وَلَدِها الدَّرّاجَةَ؟ وما دَليلُكَ على ذلِكَ؟

ولَمْ يَدْرِ في المَساءِ كيْفَ الْتَهَمَ بعضَ اللُّقَيماتِ عَلى عَجَلٍ، مَعَ أبيْهِ وَأُمِّهِ وإخْوَتِهِ الصِّغارِ، مُكْتَفِيًا بِكِسْرَةِ خُبْزٍ، وَبَعْضِ حبّاتٍ مِنَ الزَّيْتونِ، حتّى كأْسَ الشّايِ لَمْ يَدْرِ كيفَ احْتَساها، وهُوَ يَتَطَلَّعُ إلى أَبيْهِ، مُنْتَظِرًا أنْ يَنتهيَ مِثلَهُ مِنَ العَشاءِ سريْعًا، مُتَلَهِّفًا، لِيُعْلِنَ لَهُ عنْ رَغْبَتِهِ، وهوَ يُفَكِّرُ بِموافَقَتِهِ، أوْ رَفْضِهِ، وكيْفَ يُمْكِنُهُ أنْ يُقْنِعَهُ إنْ لَمْ يوافِقْ، وماذا سَيفعَلُ إذا مَنَعَهُ؟!

وحانَتِ اللَّحْظَةُ المُناسِبَةُ الَّتي عليْهِ فيْها أنْ يتحَدَّثَ، فها قَدِ انْتَهى أبوهُ مِنَ ارْتِشافِ كأسِ الشّايِ الأخيرَةِ، فَشرحَ لهُ رَغبتَهُ باضْطِرابٍ، وساعَدَتْهُ أُمُّهُ، ثُمَّ عَرَضَ عليْهِ المَبْلَغَ الَّذي ادَّخرَهُ.[3]

3) تَخَيَّلْ جَوابَ الأَبِ حينَ أَخْبَرَهُ خالِدٌ بِرَغْبَتِهِ في شِراءِ الدَّرّاجَةِ.

وأَنْصتَ إلى جَوابِ أبيْهِ، بِضيْقٍ وَصمْتٍ، ولكِنْ بِتَصديقٍ كبيرٍ. ثُمَّ رجعَ إلى غُرْفتِهِ حَسيرًا مُكْتَئِبًا صامِتًا، فتحَ كِتابَهُ، وَقعدَ يقرَأُ فيْهِ، وَصُرَّةُ النُّقودِ أمامَهُ، عَلى الطّاوِلَةِ. وَمضى يَتَصوَّرُ أباهُ، إنَّهُ مِثْلُ كَثيرٍ مِنَ الآباءِ، لكِنْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لَيْسَ مِثْلَ بَعْضِهِمْ، أبوهُ يُحبِّهُ كثيرًا، ولا يَمْنعُهُ مِنْ شِراءِ درّاجَةٍ، ولا يُريدُ مَنْعَهُ، بَلْ يَتَمَنّاها لَهُ، وَيَحْلُمُ بِأنْ يَراهُ وهُوَ يقودُها، لكِنَّهُ مِثْلُ كَثيْرٍ مِنَ الآباءِ لا يَستطيعونَ أَنْ يُوفِّروا لأبنائِهِمْ كلَّ ما يَشتهونَهُ لهُمْ.

وشَعَرَ بِحاجَتِهِ إلى أشياءَ أُخْرى كَثيرةٍ، أَهَمَّ مِنَ الدَّرّاجَةِ، وَأكثَرَ منْها ضَرورةً، وَأَحسَّ أَنَّهُ مِثْلُ كَثيرٍ مِنَ الأولادِ، وَلَيْسَ مِثْلَ بَعْضِهِمْ، فهوَ لا يَستطيْعُ أَنْ يَلْهُوَ وَيلعَبَ؛ لِأنَّ عليْهِ أنْ يَدرسَ ويجتهِدَ، بَلْ رُبَّما كانَ عَليْهِ، في وَقْتٍ مُبَكِّرٍ، أَنْ يَعملَ، في أَيِّ شَيْءٍ، يُساعِدُ والِدَهُ.

نَظَرَ إلى صُرَّةِ النُّقودِ، فَتَأَمَّلَها لحظَةً، وَتَرَدَّدَ، ثُمَّ نَهَضَ، وهوَ يَحْمِلُها، وَخرَجَ مِنْ غُرْفَتِهِ، مُصَمِّمًا عَلى فِعْلِ شَيْءٍ، وَحيْنَ الْتَقى بِأُمِّهِ وَهيَ تَرفو بَعْضَ الثِّيابِ، سَأَلَها عَنْ أَبيْهِ، فَأَخبَرَتْهُ بِأَنَّهُ خَرَجَ، فَناوَلَها صُرَّةَ النُّقودِ، وَقالَ لَها:

– أَعْطيها لِأبي.. حيْنَ يَعودُ.

ثُمَّ رَجَعَ إلى غُرفتِهِ، وَأَقفلَ بابَها عَليْهِ، وقَدِ احْتَفظَ لنفْسِهِ مِنَ الصُّرَّةِ، بِقِطْعَةٍ واحدَةٍ، فَقَطْ، قَرَّرَ أنْ يَشتريَ بِها حَصّالَةً جديدَةً، ويدَّخِرَ فيْها ثانِيَةً قِطَعَ النُّقودِ، وَأنْ يَحلُمَ مِنْ جَديدٍ، وَلكِنْ بِشَيْءٍ آخَرَ، غَيْرِ الدَّرّاجَةِ.[4]

4) ماذا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ حُلْمُ خالِدٍ الجَديدُ؟ ما الَّذي يَجْعَلُكَ تَقولُ ذلِكَ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

جدار

شريف الجهني

يقف في مواجهتي.. ينظر إلى عيني طويلًا. يقاوم دمعة كادت تفر من عينه اليمنى..يزدرد لعابه وكأنه يحاول أن يبتلع الحزن..يسعل، ثُمَّ يعود إلى أريكته يتأمل السقف، هكذا حال والدي المسن منذ شهور، كل يوم يكرر المشهد نفسه أكثر من مرة، (الزّهايمر) تملّكه في الأسابيع الأخيرة بدرجة كبيرة، منذ أيام زارنا ابن عمي، فسأله والدي عن حاله، وحال والده الّذي مات منذ سنين، ثُمَّ دلف إلى غرفته، وعاد بعد برهة، وسلّم عليه، واحتضنه، وسأله من جديد عن حاله، وحال أبيه.. خلال الساعة الّتي قضاها ابن العم في منزلنا سلّم عليه والدي بالحماس نفسه أكثر من خمس مرّات، حتّى أبصرت علامات الضّجر على وجه الضّيف، حزنت كثيرًا لما آلت إليه حال أبي، صرت أتمنى له الموت ليستريح.. تلك الأمنية أخجل أنها تسكن صدري، لكنني لم أتمكن من طمسها، زوجتي كانت توليه رعاية خاصة، ولكنها تبدلت كثيرًا، حتّى أولادي يمرون عليه وكأنه قطعة من أثاث! منذ يومين كان ابني الأكبر يبحث عن (ريموت) التلفاز، فقال لوالدي: قم ياجدي،فربما كنت تجلس عليه، وأمسكه من عضديه وأقامه، وحين وجد (الريموت) مكان جلسته أخذ يتنقل بين محطات التلفاز، وترك والدي واقفًا وجسده يهتز من الوهن، حتّى أتت ابنتي وأجلسته برفق، متى تعلمت ياولدي تلك القسوة؟! منزلنا اليوم يبدو كخلية نحل، فقد انتهى مهندس الديكور من تشطيب (الفيلا) الجديدة بالتجمع الخامس، كنت أعمل أكثر من خمس عشرة ساعة متصلة في اليوم الواحد حتّى أسدّد أقساطها، على الرّغم من سعادتي بأن أسرتي ستنتقل إلى مكان أكثر رحابة، إلا أن تلك الشقة تربطني بها ذكريات العمر.

عزائي الوحيد هو السعادة الّتي أراها في أعين أولادي وزوجتي، وهم يجمعون الملابس في الحقائب استعدادًا للانتقال إلى المنزل الجديد.. حضر العمّال، وعمّت الضوضاء المنزل، وفي خلال نصف ساعة كانت الشقة خالية من أي أثاث.. صدمني صوت زوجتي وهي تسأل ابنتي: أين جدّك؟ الباب كان مفتوحًا، والكل منشغل عنه، فأجابها ولدي الأكبر بعدم اكتراث: نذهب بالأثاث أولًا (للفيلا) الجديدة، ثُمَّ أعود للبحث عنه.

حدجته ابنتي بنظرة غيظ، ثُمَّ اتجهت ناحيتي.. مسحت الزجاج أمام عيني بكفّها، أنزلتني من

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

على الجدار، وضعتني تحت إبطها محاطًا بالإطار المذهّب، وسارت بي وأنا ألقي نظرتي الأخيرة على المكان أتأرجح ورأسي لأسفل.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

النائبات.. حين تؤاخي

للكاتب الأمريكي: (أو. هنري/O. Henry)

عَبْرَ النافذة.. ولج اللص إلى الغرفة سريعًا ثمّ تأنى!

تلك الأناة كان مصدرها قناعة ذاتية لديه مؤدّاها أن اللص الّذي يحترم مهنته.. يأخذ –كمبدأ– وقته قبل أن يأخذ أي شيء آخر.

كان البيت مسكنًا خاصًا، وبنظرة سريعة إلى هيئة الباب الخارجي وذاك اللبلاب المتطاول الّذي ما عرف مقص المزارع، منذ فترة أدرك اللصُّ أن صاحبة المنزل كانت تسترخي في إحدى الشرفات المطلة على المحيط محدِّثةً صاحب يخت متعاطفٍ.. حَسَنَ الإصغاء كيف أنها لم تجد بعد من يتفهم رقة قلبها ووحدة روحها وعنوان أحاسيسها.

وأنبأه النور المتسلل من النوافذ الأماميّة بالطابق الثالث، بأن رب البيت قد آب إليه، بأنه عما قريب سيعمد إلى النور فيطفئه قبل أن يخلد إلى نوم عميق.. كان فصل الخريف.. زمنًا وروحًا حيث يزهد سيد البيت في حدائق السطح وروعة التصميم الهندسي.

وأشعل اللص لفافة تبغ فأبرز وهج القدّاحة الخاطف ملامحه النائتة، كان ينتمي إلى الفئة الثالثة من طبقة اللصوص وهي فئة لم يُعترف بعد بها أو يرخّص لها.

لقد أحاطتنا الشرطة علمًا من واقع التجربة بالنوع الأول والثاني منهم إذ إنّ بالإمكان تصنيفهم عطفًا على نوع ياقاتهم، فالذي يضبط متلبّسًا بجريمة السرقة دون ياقة هو من أردأ الأنواع على الإطلاق وأكثرها انحلالًا ودونية.

أمّا النوع الآخر –ذو الياقة، أعني– فغالبًا ما ينظر إليه على أنه من الموسرين، شخص جدير بالاحترام حقًّا، نهارًا هو لا يتناول إفطاره إلا بكامل بدلته الأنيقة، حتّى إذا ما جن الليل ونفث المساء أدختته السوداء عاد إلى مهنة السطو المشينة، كخفافيش الظلام!

ولهذا النوع من اللصوص زوجة في كل ولاية، وخطيبة بكل مقاطعة، وله كذلك نفوذ إعلامي لا يحد، تعززه التأكيدات المستمرة الواردة من العديد من النساء اللواتي تمّ لهن الشفاء على يديه بعد الجرعة الأولى من علاج وصفه لهن، بعد أن أضنتهن مراجعة الأطباء المَهَرة دون جدوى!

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كان لصُّنا يرتدي سترة زرقاء، وهو كما أسلفنا.. من النوع الثالث الّذي يصعب تحديد فئته.. كم ستحتار الشرطة في تصنيفه لو شاء له حظه العاثر أن يقع في يدها.

وشرع صاحبنا في التجوال خلسة كيما ينفّذ مهمته الّتي جاء من أجلها.

ولم يكن يرتدي قناعًا أو أحذية مطاطية كاتمة للصوت، كلا.. ولم يكن يحمل فانوسًا داكنًا، لكنه كان يخبئ مسدسًا من عيار 38، ويلوك بشراهة قطعة لبان بنكهة النعنع الفلفلي، وكان أثاث المنزل ملفوفًا بأغطية لحفظه من تسلل ذرات الغبار إليه، أمّا آنية الفضة فقد كانت محفوظة في خزانات بعيدة المنال.

ونظر اللص إلى ما حوله.. لم يكن يتوقع تغيرًا في مجرى الأحداث، وحصر جلّ تفكيره في هدفه الوحيد.. الغرفة العليا ذات الإضاءة الخافتة حيث يغرق رب المنزل في نوم عميق بعد جهد يوم مضن أمضاه في امتياح عزاءٍ لروحه جراء ما يشعر به من فراغ رهيب وشوق لشريكة حياته لا يحد!

ربما عثرتُ على بعض المال.. ساعة يد ثمينة.. قلم مرصع بالمجوهرات، أو ما أشبه ذلك قال لنفسه إذ سهّل صاحب المنزل مهمته بترك إحدى النوافذ مفتوحة على مصراعيها!

وفتح اللص بلطف باب الغرفة المضاءة، وعلى السرير كان رب البيت يغيب في متاهات المنام، وتناثرت على التسريحة، حاجات كثيرة.. ساعة ورزمة فواتير.. مفتاح.. وسيجارات دُقّت أعقابها، ربطة شعر حريرية وردية.. علبة مسكّن فوّار لم تُفتح بعد أن ابتاعها المسكين درءًا لأوجاع الصباح.

وخطا اللص صوب (التسريحة) ثلاث خطوات، وفجأةً تمتم المستلقي ببضع كلمات حادة و... فتح عينيه واندسّت يده اليمنى تحت الوسادة على أنّه أبقاها هناك!

– ابق ساكنًا!! قال له اللص بلهجة تقليدية تحادثية هادئة، إِذْ إن لصوص الفئة الثالثة لا يهمسون!

ونظر المواطن الجاثم في سريره إلى نهاية ماسورة المسدس المستديرة فما تحرّك!

– ارفع كلتا يديك!

صاح اللص به.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كانت لحية المسكين قصيرة مدببة مازج سوادها شيء من الشيب كلحية طبيب أسنان ماهر.. وبدا الرجل ثابت الجنان، أبيًّا.. واثقًا من نفسه.. و.. مشمئزًا. وجلس في سريره رافعًا يده اليمنى فقط!

– ارفع اليسرى، كرر اللص توزيع الأوامر، قد تكون ثنائي اليدين فتطلق عليَّ النار بيسراك! بإمكانك أن تعدّ إلى الرقم اثنين، هيا ارفع الثانية قلت لك.

– لا يمكنني أن أرفع الأخرى! أجابه الرجل بأسارير مكفهرة.

– ما بها؟ استفسر اللص.

– (روماتيزم) في الكتف!

– أهو من النوع الملتهب؟

– أجل! وقد تغلغل الالتهاب فيها.

ولثانية أو اثنتين بقي اللص واقفًا، وفوهة مسدسه مصوبة نحو اليد العليلة لضحيته.. وتسللت نظراته هنية إلى الغنيمة المتناثرة على صفحة التسريحة.. على أنها عادت محرجةً كيما تستقر على الرجل أمامه، فيما علت وجهه كذلك تكشيرة مفاجئة!

– لا تقف هكذا مستعرضًا تعبير وجهك قال المواطن له بمزاج متعكر: إن كنت قد أتيت بقصد السرقة فسارع بإنهاء ما وفدت من أجله، أمامك بعض الحاجات هنا وهناك! هيّا!

– معذرة صديقي! قال اللص مبتسمًا، على أني لم أكن أتوقع أن أصادف ضحية (روماتزم).. إذ إني؟ وهذا المرض صديقان لا يفترقان، لقد أصاب يدي اليسرى. لو كان اللص شخصًا آخر لطرحك أرضًا حينما رفضت رفع يدك!

– وهل يلازمك (الروماتيزم) منذ مدة طويلة؟ سأله الرجل.

– منذ أربع سنوات، على أني أعتقد أن من يصاب به سيلازم طول العمر.

– ألم تجرب زيت ذاتِ الأجراس؟ سأله الرجل باهتمام.

– بل استهلكت من ذلك عدة جالونات، ولو أن الحيّات الّتي استخدمت زيتها قد مُدّت كحبل لبلغت كوكب زحل، ولسمع صليل أجراسها سكان (فالباريزو) في (آنديانا).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

- يتداوى بعض المصابين بحبوب (التشيسلم) قال الرجل!

- محض هراء، استعملت ذلك لمدة خمسة أشهر فما استفدت، على أني قد ارتحت قليلًا حينما استعملت خلاصة (الفينكلام) وأنواع أخرى، لكني أعتقد أن ما أفادني حقًّا -بعد اللّه- هو كستناء الحصان الّذي كان في جيبي دومًا.

- وهل يزداد الألم صباحًا أم مساءً؟ سأله الرجل.

- بل إنه لا يداهمني إلا مساء.. حينما أكون مستغرقًا في العمل. هيه.. أنزل يدك.. لا أظنك..، قل لي هل جربت دواء (بليكوستاف)؟

- أبدًا! أخبرني.. هل يداهمك الألم في هيئة نوبات أم أنه مستمر؟

وجلس اللص على حافة السرير فأراح مسدسه على ركبته المثنية، وأجاب: بل إنه يتنقّل كما يحلو له، وهو يفاجئني في أحلك الأوقات حينما أكون منهمكًا في عملي، حتّى إني قررت اعتزال سرقة الطوابق الثانية لأني غالبًا ما كنت (أتورط) مع تلك النوبات إبّان انشغالي.. اسمع.. لا أظن أن الأطباء مُلمّون بكيفية علاج تلك الحالة؟

- نحن في العذاب يا رفيقي صنوان. رد الرّجل، لقد صرفت ما ينيف على ألف (دولار) دون فائدة تُذْكَر، ما زالت الآلام الممضة كما هي، هَمٌّ بالنهار وعذابٌ بالليل وأرقٌ، أَتَتَورّمُ يداك؟

- آن الصباح.. وحين تنذر السماء بمطر..!

- وأنا كذلك رد الرجل حتّى إن بوسعي معرفة الوقت الّذي ستصل فيه موجة رطوبة بحجم غطاء مائدة الطعام قادمة من (فلوريدا) إلى (نيويورك)، يقفز الألم ساعتها على امتداد ذراعي اليسرى كنوبة حادة.. ممضة من ألم الأسنان!

- ذاك هو الجحيم بعينه لا تسلني يا رفيقي، علّق اللص.

- أنت محق تمامًا! أجابه الرجل.

ونظر اللص إلى مسدسه، ثمّ غيّبه بتلقائية في جيب معطفه قبل أن يقول بتبرّم:

- ألا أخبرني أيها الشيخ: هل جرّبت (الأبودلدك)؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

– هراء.. قال الرجل غاضبًا، لا يتعدّى مفعوله دَهْنَ الذراع بزبدة مطعم!

– بالتأكيد! قال اللص. لا يصلح إلا كعلاج لخدوش القطط!

أظنّ أن خير علاج لذلك هو شيء من الشراب المنعش الصحّي، تأثيره حسن فيما يختص بحالتينا!.. ارتد ملابسك، وهيا بنا.. آهٍ ها لقد عاودتني نوبة الألم ثانية! قال متأوهًا!

– لأسبوع خلا ما كنت قادرًا على ارتداء ملابسي دون مساعدة.. كان الألم رهيبًا.. على أني أخشى أن يكون الخادم قد خلد إلى النوم!

– هيا، أنا سأساعدك على ارتدائها.

على أن موجةً مباغتة من تلك الآلام التقليدية داهمت الرجل.

– فجأة، فما زاد على أن مسّد لحيته المدببة الّتي احتلّ المشيب نصف أرجائها.

– أمر غير عادي قال!

– إليك بالقميص، قال له اللص، مناولًا إياه إذ سقط منه، أعرف رجلًا قال: إن مرهم (الأمبري) قد أفاده كثيرًا بعد أسبوعين فقط من الاستعمال، حتّى إنه بات قادرًا على إحكام ربطة العنق (المنزلقة) –رغم صعوبة ذلك– بكلتا اليدين!

وفيما كانا يتوجّهان صوب الباب.. توقّف صاحب البيت فجأة، وهمّ بالعودة إلى التسريحة:

– كدت أنسى أن آخذ نقودي، نقودي، وضعتها على التسريحة ليلة أمس و...

على أن اللص جذب بمرح كمّه الأيمن!

– هيا –قال آمرًا– دع النقود كما هي، أَحْمِلُ كامل القيمة.. ألا قل لي.. هل سبق أن جرّبت (نبات المشتركة [الهاماماليس]) وزيت (الغُلطيرة المسطحة)؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

يومٌ منَ التّرقّبِ

للكاتب الأمريكي: (إرنست همنجواي)

كنت لا أزال في سريري.. عندما دخل (كنزي) الغرفة ليغلق النافذة، فبدا لي عندها أنه مريض! كان يرتجف من البرد، وقد علت وجهه صفرة وشحوب، وكان يمشي بأناة وتثاقل، كأن كل خطوة تنهك قواه.. وسألته: ماذا بك يا كنزي العزيز؟ فأجاب: إني أشعر بشيءٍ من الصداع، وسيزول الألم وشيكًا. فقلت له: اذهب إلى فراشك.. وسآتي لرؤيتك متى نهضت.

بيد أني عندما نزلت إلى غرفته، وجدت أنه لا يزال في ثيابه، وقد جلس قرب الموقد ساهيًا، فبدت على قسمات وجهه الشاحب ذي الربيع التاسع كل معاني البؤس والشقاء... ومسحت يدي على جبينه فشعرت أنه كان محمومًا بعض الشيء فقلت له: اذهب إلى فراشك، فأنت مريض يا بني.

فقال: كلا.. لا بأس، ورأيت من واجبي أن أستدعي الطبيب، فلما جاء وأخذ حرارة الطفل سألته: كم درجة حرارته يا دكتور؟. فقال: مئة واثنتين. وانتهى الطبيب من فحصه فانصرف، بعد أن ترك ثلاثة أنواع من الأدوية، في برشامات أنواعها مختلفة، لكل منها تعليمات خاصة لتناولها.

أمّا الدواء الأول فلتخفيض الحرارة، وأمّا الثاني فكان مُسهّلًا، والثالث لتلافي حدوث حموضة محتملة في المعدة، إذ إن المكروب لا يمكن أن يعيش إلا في الحموضة.

وكان الطبيب مختصًا في أمراض الحمى، مما جعله يؤكد أنه لا خطر على حياة الطفل طالما أن درجة الحرارة لم تتعدّ الأربع درجات بعد المئة ويأخذ الاحتياطات الكافية لتلافي أي التهاب رئوي قد يحدث أحيانًا.. فإنّ هذه الحمى تصبح خفيفة الوقع.. غير ذات بال.

وعدت إلى الغرفة بعد أن ودعت الطبيب، فأخذت مرة أخرى الحرارة ودوّنت على ورقة، الساعات الّتي يجب أن أناوله فيها كل دواء، ثُمَّ سألته: أتحب أن أقرأ لك؟. فقال: لا مانع.. إذا كنت ترغب في ذلك.

ونظرت إليه فإذا قد علت وجهه صفرة وشحوب.. وظهرت تحت عينيه بقع سوداء داكنة،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وكان مستلقيًا على الفراش، لا يبدي حراكًا، ولا يظهر أي اكتراث لما يدور حوله.

وقرأت له بعض المقاطع من كتاب (القرصان طواردبيل) ولكني لم ألبث أن لاحظت أنه لم يكن ليسمع أو يعي حرفًا واحدًا مما كنت أقرأ. وسألته: كيف حالك الآن.. يا كنزي العزيز؟ فأجاب باقتضاب: لا أزال كما كنت.

وجلست على حافة السرير، ورحت أقرأُ لنفسي بانتظار وقت تناوله الحبة الثانية، وظننت لحظة أنه لابد قد نام، ولكن عندما رفعت عيني عن الكتاب.. رأيته ما زال مستيقظًا يحدق بنظرة غريبة إلى حافة السرير فسألته: ولكن لماذا لا تجرب أن تنام؟ سأوقظك متى حانت ساعة تناولك الدواء، فأجاب: إني أُفضّل أن أبقى مستيقظًا.. ولا حاجة بك تضطرك إلى البقاء معي، إذا كان ذلك يزعجك.

ورأيت أن أمكث عنده حتّى الحادية عشرة، أي حتّى وقت تناوله الدواء، ثُمَّ خرجت. كان اليوم ساطعًا قارصًا وهاجًا، وكانت الأرض مغطاة بطبقة من الجليد، فبدت لي الأشجار العارية الأغصان، وبدا لي الشوك المقطوع، والعشب والأرض والأشواك، حيث سقطت تلك الأشواك بدأت تتحرك تحت ثقلي كالرقاص.

واكتفيت بما قمت به، ورجعت أدراجي سعيدًا رغم كل شيء باكتشافي هذه السرية قرب البيت. ولما وصلت إلى المنزل، واستفسرت عن صحة الصغير قيل لي: إنه رفض دخول أي كان إلى غرفته.. فتوجهت رأسًا إلى الغرفة، وما إن وطئت قدمي أرضها حتّى سمعته يقول: لا تدخل! إذ لا يجب أن تصاب بعدوى مثلي. ولكنني لم آبه لكلامه.

واقتربت منه فدهشت إذ رأيته لم يغير وضعه منذ أن تركته. كان وجهه ما يزال شاحبًا، رغم أن خديه كانا محمرين من تأثير الحمى، أمّا نظرته فما زالت مسمرة بحافة السرير، وأخذت حرارته، فسألني عندما انتهيت: كم هي؟.

فقلت: حوالي المئة، وكنت أعرف أنها فوق المئة بأكثر من درجة. وقال: كانت حرارتي مئة واثنتين هذا الصباح. فقلت: من قال هذا؟ إني أكذبه الخبر، فقد تعددت حرارته أجاب الطبيب. فقلت: لا تهتم ولا تقلق.. ولا تكتئب، فإن حرارتك لا تدعو للقلق. فقال: إنني لا أشعر بقلق. فقلت ونظرته ساهمة: هذا.. ما أفعله.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وكان واضحًا جليًا من نظراته وحديثه.. أنه إنما يخفي في نفسه شيئًا كان يعصف بها، وناولته حبة، وقلت له: خذ هذه مع قليل من الماء، فقال: أتعتقد أن ذلك سيجدي نفعًا؟ فقت له: بكل تأكيد! وجلست قرب سريره، ثُمَّ فتحت كتابًا، وشرعت أقرأ له منه فصولًا، ولكني لم ألبث أن شعرت أنه لم يكترث لشيء مما كنت أقرؤه، فأقلعت عن ذلك.

وفجأة، وبدون أية مقدمات، طرح عليّ هذا السؤال الغريب: في أية ساعة تعتقد أني سأموت؟.

فأجبته: ولكنك لن تموت.. ماذا دهاك لتسأل مثل هذا السؤال السخيف؟ فقال: أجل.. أعرف أني سأموت.. فإن حرارتي قد تعدت الاثنتين بعد المئة. فطمأنته قائلًا: ولكن، من ذا الّذي قال لك إن مثل هذه الحرارة تكون قاتلة؟ إن من البلاهة بمكان أن تفكر بمثل هذه الأمور!.

فقال: ولكني أعرف أني سأموت، فعندما كنت في المدرسة، في فرنسا، كنت أسمع الأولاد يقولون: إنه لا يمكن لامرئ أن يعيش إذا جاوزت حرارته الأربعة والأربعين.. وأنا معي مئة واثنتان! وهكذا إذًا: فقد انتظرت الموت النهار كله منذ التاسعة صباحًا! وقلت له (كنزي) العزيز؟ إن مثل درجات الحرارة كمثل الأميال والكيلومترات سواء بسواء.

فأنت لن تموت بمجرد أن حرارتك مئة واثنتان.. لأن درجة حرارة الطبيعية تختلف باختلاف نوع الدرجات: فهي عند ذاك 37، وعند هذا 68.

ولم تبدر منه إلا هذه الكلمة: آه...! بيد أن نظرته الّتي ظلّت مسمرة بحافة السرير فقدت شيئًا من ثباتها وقساوتها.. وأخيرًا زال ما كا يعتمل في نفسه من خوف.. وأسى.. وشجى، وما إن أقبل الغد حتّى رجع إليه اتزانه، وأضحى يبكي بسهولة لأمور ما كان أسخفها..!

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أدبُ السّيرِ والرّحلاتِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

السّيرةُ الأدبيّةُ

السِّيرَةُ في اللغة هي السُّنَّةُ، والسِّيرَةُ: الطريقةُ. يقال: سارَ بهم سِيْرَةً حَسَنَةً. والسَّيرَةُ: الهَيْئَةُ. وفي التنزيل العزيز: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

والسّيرة الأدبيّة: فنّ جوهره التواصل اللغويّ، يتناول حياة إنسان ما تناولًا يقصر أو يطول. وعرّفها بعضهم بأنّها «السرد المتتابع لدورة حياة شخص، وذكر الوقائع الّتي جرت له في أثناء مراحل هذه الحياة».

وتنقسم السّيرة الأدبيّة إلى سيرة ذاتيّة وسيرة غيريّة.

فالسّيرة الذاتيّة: هي الّتي يكتبها الشخص بنفسه عن نفسه.

أمّا السّيرة الغيريّة: فهي الّتي يكتبها كاتب ما عن شخص آخر، فهي ترجمة حياة شخص عن طريق الشواهد والشهادات والوثائق.

ويتحتم على كاتب السّيرة الذاتيّة أن يكون موضوعيًا في نظرته لنفسه، وهو يذكر موقفه من الناس والحوادث. وعلى كاتب السّيرة الغيريّة أيضًا أن يكون موضوعيًّا، وأن يقف موقف الشاهد لا القاضي. ولذلك يعدّ الصدق من أهم شروط كتابة السّيرة الأدبيّة.

ولما كان الصدق من أهم شروط كتابة السّيرة الأدبيّة فإنّ المتعة لا تتحقق إلاّ إذا كانت السّيرة عن شخصية فذّة، عاشت حياة غنية بالأحداث والمواقف، أو كانت عن شخصية مبدعة في أي مجال من مجالات الفنون والعلوم.

ويعدّ محمد بن إسحق أول من استخدم كلمة «السّيرة» في كتابه (سيرة رسول اللّه)ﷺ، ولذلك تعدّ السّيرة النبوية أوسع ما في التراجم الإسلامية، وأقدمها ظهورًا، ثُمَّ ظهرت تراجم أخرى لطبقات الصحابة، وطبقات المُفَسّرين، وطبقات الشّعراء وطبقات النّحاة وغيرهم.

ولما أصبحت السّيرة الذاتيّة فنًّا مستقلاً بذاته برع فيها الكثير من الأدباء عبر العصور، مثل الإمام أبو حامد الغزالي في سيرته الفكرية الفريدة (المنقذ من الضلال)، وابن خلدون في سيرته (التعريف بابن خلدون ورحلته شرقًا وغربًا)، وأحمد لطفي السيد في

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

سيرته (قصة حياتي)، وعباس محمود العقاد في سيرتيه (أنا) و(حياة قلم)، وإبراهيم عبد القادر المازني في سيرته (قصة حياة)، وطه حسين في سيرته (الأيام)، وتوفيق الحكيم في سيرته (زهرة العمر)، وأحمد أمين في سيرته (حياتي)، وميخائيل نعيمة في سيرته (سبعون)، وبنت الشاطئ في سيرتها (على الجسر).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تَعَلَّمْتُ مِنْ أَوقاتِ الفَراغِ *

عبّاس محمود العَقّاد

أوقاتُ العملِ تملكُنا.....

ولكنَّنا نحنُ الّذين نملكُ أوقاتَ الفراغِ وَنتصرّفُ فيها كما نريدُ، فهيَ منْ أجلِ هذا ميزانُ قُدرتِنا على التّصرّفِ، وميزانُ معرفتِنا بقيمةِ الوقتِ كلِّهِ، وليسَتْ قيمةُ الوقتِ إلّا قيمةَ الحياةِ.

فالّذي يعرفُ قيمةَ وقتِهِ يعرفُ قيمةَ حياتِهِ، وَيستحقُّ أنْ يحيا، وأنْ يملكَ هذِهِ الثّروةَ الّتي لا تساويها ثروةُ الذّهبِ، لأنَّ مالِكَ وقتِه يملكُ كلَّ شيءٍ، ويصبحُ في حياتِهِ سيّدَ الأحرارِ.

إنَّ أفرغَ النّاسِ هوَ الّذي لا يستطيعُ أنْ يملأَ ساعاتِ فراغِهِ، وعندَنا في الشّرقِ كثيرونَ بلْ كثيرونَ جدًّا مِنْ هؤلاءِ الفارغينَ؛ على القهواتِ، وعلى أفاريزِ الطُّرقاتِ، في الصّباحِ وفي المساءِ، خلالَ أيّامِ الصّيفِ، وخلالَ أيّامِ الشّتاءِ.....في كُلِّ وقتٍ، وَكُلِّ مَوْسمٍ، وَكُلِّ مكانٍ ، ألوفٌ منَ الشّبابِ الأقوياءِ والرّجالِ النّاضجينَ يقضونَ ساعاتِ الفراغِ في لَعِبِ النّرْدِ والورقِ، أَوْ في مُراقبةِ الغادينَ والغادياتِ، والرّائحينَ والرّائحاتِ.

ليسَ هذا وَقْتًا فارغًا لأنّهم مشغولونَ فيهِ، وليسَ هذا وقتًا مملوءًا لأنّهم يملؤونَه بما هو أفرغُ منَ الفراغِ.

هذا ليسَ بوقتٍ على الإطلاقِ...

وليسَ معنى «وقتُ الفراغِ» أنَّهُ الوقتُ الّذي نستغني عنه، ونبدّدُهُ، ونرمي به معَ الهباءِ،ولكنَّ وقتَ الفراغِ هوَ الوقتُ الّذي بقيَ لنا لنملكَهُ ونملكَ أنفسَنا فيه، بعدَ أنْ قضينا وقتَ العملِ مملوكينَ مُسَخَّرينَ لما نزاولُهُ مِنْ شواغلِ العيشِ وتكاليفِ الضّرورةِ.

قرأْتُ مرّةً في تاريخِ أمريكا الشّماليّةِ أنَّ الإنجليزَ والفرنسيينَ تسابقوا على استعمارِ «كندا» فنجحَ الإنجليزُ حيثُ أخفقَ الفرنسيونَ..لماذا؟

زعموا في تعليلِ ذلك –وأصابوا– أنَّ استعمارَ القفارِ منَ الأرضِ البورِ يحتاجُ إلى قضاءِ الأوقاتِ الطّوالِ في عُزلةٍ عنِ المدنِ الحافلةِ، وأنَّ الإنجليزَ نجحوا في استعمارِ تلك الأرضِ

* عباس محمود العقاد– السّيرة الذاتيّة، المجلد 22، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص–ص. 136–140.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لأنّهم يستطيعونَ أنْ يقضوا أوقاتَ الفراغِ منعزلينَ منفردينَ، وأنَّ الفرنسيَّ لا يطيقُ العزلةَ، ولا يحتملُ أنْ يَفْرُغَ لنفسِه، ولا يزالُ في شوقٍ إلى المدينةِ لقضاءِ السّهَراتِ والأصائلِ بينَ النّاسِ في الأنديةِ والمجتمعاتِ، فتركَ ميدانَ الخلاءِ لمنْ همْ قادرونَ عليه...

ويصدُقُ علينا في الشّرقِ ما يصدقُ على الفرنسيينَ، فإنَّ الإنسانَ منّا لا يستطيعُ أنْ يجدَ في نفسِهِ ما يشغلُهُ ساعةَ فراغٍ، ولا يحسُّ بفراغٍ منَ الوقتِ حتّى يلوذَ بالطُّرقاتِ والقهَواتِ، ولا يهتدي بعدَ البحثِ الطّويلِ في أعماقِ ضميرِهِ وأطواءِ دماغِهِ إلى شيءٍ يملأُ بهِ ذلكَ الفراغَ.

إنْ كانَ قُصارى ما أصابَ الفرنسيينَ مِنْ هذِهِ الخصلةِ أنّهم أخفقوا في استعمارِ «كندا».. فالأمرُ معنا أخطرُ وأعظمُ، فلعلّنا لَمْ نذهَبْ فريسةَ الاستعمارِ إلّا لأنّنا فارغونَ، وأنّنا لا نجدُ في نفوسِنا ما ننطوي عليه.

ولو أنّني أردْتُ امتحانَ الأقوياءِ مِنَ الرّجالِ لَتركْتُهم فتراتٍ في مكانٍ مغلقٍ يقضونَ فيه ساعاتِ فراغِهم، فمَنْ صبرَ على هذِهِ السّاعاتِ فهو رجلٌ ملآنُ بقوّةِ الفكرِ وقوةِ الخلْقِ وقوّةِ الاحتمالِ، ومَنْ لم يصبِرْ عليها فهو الفارغُ الّذي لا خَيْرَ فيهِ.

ماذا نتعلّمُ مِنْ ساعاتِ الفراغِ؟

نتعلّمُ منها كُلَّ شيءٍ، ولا نتعلّمُ شيئًا مِنَ الحوادثِ أَو الكتبِ أَو الأعمالِ، إلّا احتجْنا بعدَهُ أَنْ نتعلّمَهُ مرّةً أُخرى في وقتِ فراغٍ..

فالمعارفُ الّتي نجمعُها مِنَ التّجاربِ والكُتبِ محصولٌ نفيسٌ، ولكنَّهُ محصولٌ لا يفيدُنا ما لَمْ نُغربلْهُ، ونوزّعْهُ على مواضعِهِ مِنْ خزائنِ العقلِ والضّميرِ..

ولن تتيسّرَ لنا هذِهِ الغربلةُ وهذا التّوزيعُ في غيرِ أوقاتِ الفراغِ..

إنَّ معارفَ التّجربةِ والاطّلاعِ زَرْعٌ في حقلِه ينتظرُ الحصادَ والجمعَ والتّخزينَ، ولا فائدةَ للحرثِ والسّقيِ والرّعايةِ ما لَمْ تأتِ بعدَ ذلكَ ساعةُ التّخزينِ...

وهيَ ساعةُ الفراغِ

ساعةٌ هيَ أَلْزمُ لنا من ساعاتِ العملِ، لأنَّ العملَ كُلَّهُ موقوفٌ عليها في النّهايةِ، فلا ثمرةَ لأعمالِ الحياةِ بغيرِ فراغِ الحياةِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ولولا أنّنا نخشى أَنْ يُقدِّسَ النّاسُ الفراغَ لَقُلْنا: إنَّ تاريخَ الإنسانيّةِ مِنْ أوّلِه إلى عهدِه الحاضرِ مَدينٌ لساعاتِ الفراغِ.

لقدْ عرفَ التّاريخُ الإنسانيُّ أقوامًا فارغينَ جَنَوا عليه بفراغِهم أشنعَ الجناياتِ، ودفعوا به إلى الحربِ تارةً وإلى الفتنةِ تارةً أخرى؛ لأنّهم وجدوا أمامَهم متّسعًا منَ الفراغِ يعيشونَ فيه.

ولكنّنا – حتّى معَ هذا – لا نستغني عن ثمَراتِ ذلك الفراغِ جميعًا دونَ أنْ نجازفَ بالجانبِ الصّالحِ النّافعِ منْ تاريخِ الإنسانِ.

ماذا يبقى من تاريخِ الإنسانيّةِ لولا الفارغونَ الّذينَ اتّسعَتْ أوقاتُهم للبذخِ والتّرفِ بينَ الحليِّ والحُلَلِ؟

مَنْ كانَ يجوبُ الأرضَ، ويمخُرُ عُبابَ البحرِ ليجلبَ الحريرَ والبهارَ والحجرَ النّفيسَ والحجرَ الّذي تبنى به الصّروحُ؟

مَنْ كانَ يتعلّمُ الملاحةَ؟ مَنْ كانَ يتعلّمُ صناعةَ السّفنِ؟ مَنْ كانَ يتعلّمُ النّسيجَ؟ مَنْ كانَ يستخرجُ اللآلىءَ، أَوْ يبحثُ عن شذورِ الذّهبِ والفضةِ؟ مَنْ كانَ يرسلُ القوافلَ ويحذقُ فنونَ التّجارةِ؟ مَنْ كانَ يرصدُ النّجومَ ويدرسُ حركةَ الأفلاكِ في السّماءِ؟ مَنْ كانَ يعرفُ هذه الأعمالَ الّتي يعيشُ عليها الملايينُ لولا ذلكَ الفراغُ الّذي تقدّمَ به الزّمنُ في تواريخِ الأُمَمِ؟

لقد كانَ فراغًا ذميمًا في أكثرِ نواحيهِ، ولكنّه على مذمَّتِه قد أفادَنا درسًا خالدًا لا يصحُّ أَنْ ننساهُ. ذلك الدّرسُ الخالدُ هو حاجةُ النّاسِ جميعًا إلى أوقاتِ الفراغِ، فهيَ شيءٌ لا غِنى عنه في حياةِ أُمَّةٍ ولا في حياةِ أحدٍ..

وحبَّذا قضاءُ الفراغِ كُلِّهِ فيما هو خيرٌ. ولكنَّنا إذا خُيّرْنا بينَ الفراغِ خيرِهِ وشرِّهِ وبينَ ضياعِ الفراغِ كُلِّهِ لاخترْنا أهونَ الشّرَّيْنِ.

إنَّ العُقلاءَ مِنْ أصحابِ الأعمالِ يطلبونَ اليومَ مُتّسعًا مِنَ الفراغِ لِعُمّالِهم بعدَ أنْ كانَ طلبُ الفراغِ مقصورًا على العمالِ. فالعاملُ الّذي ينفقُ بعضَ الوقتِ ينفقُ بعضَ المالِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فتدورُ الحركةُ – حركةُ البيعِ والشّراءِ في الأسواقِ.

حسبةً من حسابِ الحرصِ لا مِنْ حسابِ الإسرافِ، وحسبةً يرضى عنها عِلْمُ الاقتصادِ، ولا يغضبُ عليها عِلْمُ الأخلاقِ.

والاقتصادُ الأعظمُ بعدَ هذا وذاكَ هو الذي تعلّمْناهُ ونتعلّمُهُ مِنْ تاريخِ الإنسانيّةِ مِنْ أوّلِهِ إلى عهدِهِ الحاضرِ.

لا بُدَّ منْ فَراغٍ...

ولا بُدَّ مِنْ فَراغٍ نحفظُهُ...

والفَراغُ الّذي نحفظُهُ هو الّذي يحفظُنا؛ لأنّنا نستخلصُ فيه خيرَ ما ندَّخرُهُ مِنْ غربلةِ التّجاربِ والمعارفِ والعِظاتِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

رحلةُ ابنِ بطّوطةَ إلى الصّينِ

قالَ ابنُ بطّوطةَ في رحلتِهِ عنْ أهلِ الصّينِ[1]:

ذِكْرُ ما خُصّوا به منْ إحْكامِ الصّناعاتِ:

وأهلُ الصّينِ أعظمُ الأممِ إحكامًا للصّناعاتِ، وأشدُّهم إتقانًا فيها، وذلك مشهورٌ مِنْ حالِهم، قد وصفَهُ النّاسُ في تصانيفِهمْ فأطنبوا فيه، وأمّا التّصويرُ فلا يُجاريهم أحدٌ في إحكامِهِ مِنَ الرّومِ ولا مِنْ سواهم، فإنَّ لهم فيه اقتدارًا عظيمًا، ومن عجيبِ ما شاهَدْتُ لهم مِنْ ذلكَ أنّي ما دخلْتُ قطُّ مدينةً مِنْ مُدنِهم، ثمَّ عُدْتُ إليها إلّا ورأيْتُ صورتي وصورَ أصحابي منقوشةً في الحيطانِ، والكواغدُ موضوعةٌ في الأسواقِ! ولقد دَخلْتُ إلى مدينةِ السُّلطانِ فمرَرْتُ على سوقِ النّقّاشينَ، وَوصلْتُ إلى قصرِ السّلطانِ معَ أصحابي، ونحنُ على زِيّ العراقيّينَ، فلمّا عُدْتُ منَ القصرِ عشيًّا مَرَرْتُ بالسّوقِ المذكورةِ، فرأيْتُ صورتي وصورَ أصحابي منقوشةً في كاغدٍ قدْ ألصقوهُ بالحائطِ، فجعلَ كُلُّ واحدٍ منّا ينظرُ إلى صورةِ صاحبِهِ لا تخطئُ شيئًا مِنْ شبهِهِ، وَذُكِرَ لي أنَّ السّلطانَ أمرَهمْ بذلك، وأنّهم أتَوا إلى القصرِ ونحنُ فيه فجعلوا ينظرونَ إلينا وَيُصوّرونَ صورَنا ونحنُ لمْ نشعرْ بذلك، وتلكَ عادةٌ لهم في تصويرِ كُلِّ مَنْ يمرُّ بهمْ، وتنتهي حالُهم في ذلك إلى أنَّ الغريبَ إذا فعلَ ما يوجِبُ فِرارَه عنهم بعثوا صورتَهُ إلى البلادِ، وَبُحِثَ عنه فحيثُما وُجِدَ شَبَهُ تلكَ الصّورةِ أُخِذَ.

ذِكْرُ حفظِهِمْ للمسافرينَ في الطُرقِ:

وبلادُ الصّينِ آمَنُ البلادِ وأحسنُها حالًا للمسافرِ، فإنَّ الإنسانَ يسافرُ منفردًا مسيرةَ تسعةِ أشهرٍ، وتكونُ معَهُ الأموالُ الطّائلةُ فلا يخافُ عليها، وترتيبُ ذلكَ أنّ لهم في

1) رحلةُ ابنِ بطّوطةَ (تحفةُ النّظارِ في غرائبِ الأمصارِ وعجائبِ الأسفارِ)، أكاديميّةُ المملكةِ المغربيّةِ، الرباط، سنة النشر: 1417 هـ/ 4/ 132-134

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كُلِّ منزلٍ ببلادِهِمْ فُندقًا، عليه حاكِمٌ يسكنُ بهِ في جماعةٍ مِنَ الفرسانِ والرّجالِ، فإذا كانَ بعدَ المغربِ أو العشاءِ الآخرةِ جاءَ الحاكمُ إلى الفندقِ، ومعَه كاتبُه فكتبَ أسماءَ جميعِ مَنْ يبيتُ به منَ المسلمينَ، وختمَ عليها، وأقفلَ بابَ الفندقِ عليهم، فإذا كانَ بعدَ الصّبحِ، جاءَ ومعَه كاتبُهُ، فدعا كُلَّ إنسانٍ باسمِه، وكتبَ بها تفسيرًا، وبعثَ معَهم مَنْ يوصّلُهمْ إلى المنزلِ الثّاني له، ويأتيه ببراءةٍ من حاكمِه أنَّهم جميعُهُم قد وصلوا إليه، وإنْ لم يفعلْ طلبَه بهم، وهكذا العملُ في كُلِّ منزلٍ ببلادِهم... وفي هذه الفنادقِ جميعُ ما يحتاجُ إليه المُسافِرُ منَ الأزوادِ، وخصوصًا الدّجاجُ والإوزُّ، وأمّا الغنمُ فهي قليلةٌ عندَهم.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تجاربي مع الحقيقة
(المهاتما غاندي)

وأغلب الظن أني كنت في السابعة تقريبًا عندما غادر أبي (بوربانـدر) إلى (راجكوت) ليصبح عضوًا في محكمة (راجاستانك)، وهناك أدخلت إلى مدرسة أوليّة.

وأستطيع أن أتذكر تلك الأيام في وضوح، وفي جملة ذلك أسماء المدرسين الذين علموني وبعض صفاتهم المميزة، لم يكن في ميسوري أن أكون أكثر من تلميذ عادي. ومن المدرسة مضيت إلى مدرسة الضاحية، ثُمَّ إلى المدرسة الثانوية بعد أن بلغت الثانية عشرة. ولست أذكر أني كذبت قط، –خلال هذه المدة القصيرة– كذبة واحدة على معلمي، أو على رفاقي سواء بسواء. كنت شديد الحياء، وكنت أجتنب الاتصال بأحد. كانت كتبي ودروسي هي رفيقي الأوحد، وكان الوصول إلى المدرسة مع دقات الساعة والعودة إلى البيت حالما تقفل المدرسة هما عادتي اليومية. كنت أعدو راجعًا بكل ما في الكلمة من معنى؛ لأني لم أكن أحتمل التحدث إلى أحد، بل لقد كنت أخشى أن يسخر أحد مني أو يتندّر بي..

وهناك حادثة وقعت في الامتحان الّذي جرى خلال سنتي الأولى في المدرسة الثانوية، وهي جديرة بالتدوين، كان (مستر جيلز)، مفتش المعارف، قد وفد إلى مدرستنا في مهمة تفتيشية، وكان قد قدّم إلينا خمس كلمات لنكتبها كتمرين في التهجية، وكانت إحدى تلك الكلمات (Kettle) وكنت قد أخطأت في تهجيتها، فحاول المدرس أن يُلقّنني الجواب الصحيح بمقدّم حذائه، ولكني لم أفهم ما يريد. لقد كان المتعذر علي أن أرى أنه أراد مني أن أنقل التهجية من لوح جاري الحجري، ذلك لأني كنت أعتقد أن المدرّس كان هناك ليراقبنا، ويحول بيننا وبين النقل. وكانت النتيجة أن الغلمان جميعهم –باستثنائي أنا– قد تهجوا الكلمات جميعها على وجهها الصحيح. أنا وحدي كنت الغلام الأبله، وحاول المدرس فيما بعد أن يثبت لي هذه البلاهة، ولكن على غير طائل، فلم يكن في ميسوري قط أن أتعلم فن «النقل».

ومع ذلك فإن هذه الحادثة لم تقلل –البتّة– من احترامي لمعلمي، كنت –بالفطرة– أعمى عن أخطاء مَنْ هُمْ أكبر مني سنًّا، وفيما بعد قدّر لي أن أعرف كثيرًا من نقائض هذا المعلم، ولكن احترامي له ظل هو هو، ذلك أني كنت قد تعلمت أن أنفذ أوامر المتقدمين في السن، لا أن

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أمحص أفعالهم.

وثمة حادثتان أخريان، ترجعان إلى الفترة نفسها، لم تبرحا ذاكرتي في يوم من الأيام، فقد كنت دائما أكره المطالعة في أيّما كتاب إضافي غير كتبي المدرسية، كان علي أن أنجز دروسي اليومية لأني كنت أكره أن يوبّخني معلمي بقدر ما كنت أكره أن أخدعه، وهكذا كنت أدرس دروسي، ولكن ذلك كثيرًا ما كان يتم من غير أن أُعمل عقلي فيها، وهكذا لم أكن لآخذ نفسي بقراءات إضافية حتّى ولو لم أستطع مذاكرة دروسي جيدًا، ولكن عينيّ وقعتا بطريقة ما على كتاب كان أبي قد اشتراه، وكان ذلك الكتاب هو «شرافانا بيتر يبها كي ناتاكا» (مسرحية عن إخلاص شرافانا لوالديه)، وقد قرأت الكتاب في شوق عارم، ووفد إلى بلدنا في الوقت نفسه بعض العارضين المتجولين، وكانت بين الصور الّتي عرضت علينا صورة تمثل (شرافانا) وقد حمل والديه الضريرين إلى الحج بواسطة ألواح من الخشب شدت إلى كتفيه. وترك الكتاب والصورة أثرًا في ذهني، لا سبيل إلى محوه، وقلت في نفسي: «ههنا مثل يحسن بك أن تقتدي به»، إن ندب الوالدين الأليم لوفاة (شرافانا) لا يزال طريًّا في ذاكرتي، لقد حرك اللحن الرقيق عواطفي، فعزفته على «كونسيرتينا» كان أبي قد اشتراها لي.

وكانت ثمة حادثة مماثلة تتصل بمسرحية أخرى، فحوالي ذلك الوقت تمامًا حصلت على إذن من والدي يجيز لي أن أرى مسرحية كانت إحدى الفرق المسرحية تمثلها. والواقع أن هذ المسرحية –واسمها «هاريششاندرا»– أسرت فؤادي، وما كان لي أن أتعب من مشاهدتها، ولكن كم مرة سوف يسمح لي بالذهاب؟ لقد فرضت تلك المسرحية نفسها علي فمشاهدتها ماثلة في ذهني أبدًا، ولاريب في أني قد مثلت لنفسي دور «هاريششاندرا» مرات لا تحصى. وكان السؤال الّذي وجهته إلى نفسي ليل نهار هو «لماذا لا يكون الجميع أمناء مخلصين مثل (هاريششاندرا)؟» كان اتبّاع الحقيقة ومكابدة كل ما كابده (هاريششاندرا) من محن هما المثل الأعلى الأوحد الّذي أوحت به إلي. لقد آمنت بقصة (هاريششاندرا) بكل ما في كلمة الإيمان من معنى حرفي، وكثيرًا ما دعاني التفكير إلى البكاء. إن حصافتي تنبئي اليوم أن (هاريششاندرا) لايمكن أن يكون شخصية تاريخية، ومع ذلك فكل من (هاريششاندرا) و(شرافانا) حقيقة حية عندي، وأنا واثق من أن عواطفي سوف تستثار، كشأنها من قبل، إذا ما قُدر لي أن أقرأ اليوم هاتين المسرحيتين كرّةً أخرى.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

رحلة إلى شمال إفريقيا – القنطرة
(أندريه جيد)

أخيرًا انفرجت الصخرة الّتي كانت تمتد إلى جانبنا منذ الصباح، ها هو الباب، اقتحمناه، إنه الليل، نمشي في الظل، ظهر اكتمال النهار الّذي انتهى. جمال البلد المرغوب. من أجل أي افتتان وسكون ستصدر عنك الآه! امتدادك تحت الضوء الذهبي الدافئ.

توقفنا، انتظرنا، نظرنا.

ظهر عالم مختلف، غريب، ثابت، هادئ، ولا لون، أسعيد هو؟ لا، أحزينٌ؟ لا، إنه هادئ.

اقتربنا بحذر، كما لو وسط ماء دافئ ومضطرب تحت فيء النخيل، وخطوة بعد خطوة بدأنا نقترب.. صوت ناي، حركة بيضاء، ماء يهمس بلطف، ضحك أطفال قرب الماء، ثُمَّ لا شيء، لا قلق، ولا فكرة، ليس حتّى هدوءًا: هنا لا شي يتحرك، إنه عالم فاتن في ماذا كنت أرغب إلى حدود هذا اليوم؟ ماذا كان يقلقني؟

جاء الليل، الماشية أوت، ما كنا نظنه هدوءًا، لم يمكن سوى إسبات وفتور. وفي لحظة أرادت الواحة، وهي مندهشة ومرتجفة، أن تعيش.

هبوب خفيف جدًا، لامس النخيل. دخان أزرق يتصاعد من البيوت الطينية جميعها فيملأ بالضباب القرية التي –عندما تدخل الماشية– تخلد إلى النوم، وتغوص في ليل هادئ شبيه بالموت.

كم تمتد الحياة المتواصلة، الشيخ يموت بلا ضجيج، والطفل يكبر بلا رجة، القرية تبقى كما هي، حيث لا وجود لكائن متشوق إلى الأفضل، ويأتي بشيء جديد بعد بعض الكد.

قرية بأزقة ضيقة، بلا ترف، هنا يدفع الفقر إلى معرفة نفسه، الكل يأخذ قسطه من الراحة، ويبتسم بسعادة بسيطة، العمل البسيط في الحقول، هذا هو العصر الذهبي! ثُمَّ على خُطا الأبواب، يستولي الليل بأغانيه وحكاياه على متعة المساء البطيء.

من بين كل المقاهي ذات الطابع (المورسكي)، اخترت الأكثر انزواء، والأكثر عتمة، ما الّذي جذبني إليها؟ لا شيء، الظل، الشكل، الليل الممتد، الغناء وألا تكون مرئيًا من الخارج،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشيء الّذي يولّد إحساسًا بأنك مهاجر سري. أدخل بدون إحداث ضجة، أجلس بسرعة، ولكي لا أخلّ بنظام الأشياء، أتظاهر بأنني أقرأ، وأبقى أنتظر... لكن لا شيء، عجوز ينام في الزاوية، وآخر يغني بصوت خفيض جدًا تحت أحد المقاعد، كلب يقضم عظمة، والطفل الّذي يعمل بالمقهى، يقف قرب الموقد، ويحرك الرماد بحثًا عن بعض الجمر لتدفئة قهوتي المرة، الزمن الّذي ينساب ليس له ساعات، لكن بما أن كل واحد يعيش في عطالة تامة، فإن الملل هنا يصبح مستحيلًا.

ماذا كنت أريد إلى حدود هذا اليوم؟ لماذا أغتم؟ أوه! لكني الآن أعرف، خارج الزمن، الحديقة الّتي يستريح فيها الزمن بلد مغلق، هادئ، شبيه بمنطقة (أركادي Arcadie...!) لقد عثرت على مكان الراحة.

هنا السلوك اللامبالي يقطف كل لحظة بلا ملاحقة، اللحظة تكرر نفسها دون كلل، الساعة تعيد الساعة، واليوم يكرر اليوم.

ثغاء القطيع في الليل، غناء القصابات المتموج تحت النخيل، هديل طائر الورشان اللامتناهي، أيتها الطبيعة الّتي بلا هدف، بلا حداد، بلا تغير، عندما تبتسمين هكذا في وجه أكثر الشّعراء عذوبة، فإنك -في عيني الورعة- تبتسمين لي...

رأيت في الليلة الماء المحبوس ينتشر، يرطب الحديقة ليروي عطش النباتات، طفلًا أسود البشرة، حافي القدمين داخل المسقى، يوجه حسب رغبته الري الموجه بطريقة جيدة، يفتح أو يغلق في الطين سدودًا صغيرة، كل سد يصب الماء عند كل شجرة معنية، على الجذع -تحديدًا- رأيت هذا الماء يصعد من الحفر المتشققة مثقلًا بالتراب، دافئًا، ويعطيه شعاع الشمس لونًا أصفر، وفي الأخير يأتي الماء الفائض بغزارة من كل الجهات، ليغمر سيقان الشعير.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نصوصُ الرَّأي

المَقالاتُ

المقالةُ

المقالـة هـي قطعـة نثريـة ذات طـول معتـدل، يتنـاول فيهـا الكاتـب بعـض القضايـا الخاصـة أو العامـة مـن وجهـة نظـره الخاصـة، ولذلـك تصنّـف المقالـة علـى أنهـا مـن نصـوصُ الـرّأي؛ لأنهـا فـي الغالـب تعبّـر عـن رأي كاتبهـا فـي الموضـوع الّـذي يتناولـه بالكتابـة.

وعلـى الرغـم مـن أنّ المقالـة نـوع حديـث مـن الكتابـة، إلا أن له بـذورًا موغلـة في القدم فـي الآداب القديمـة. وقـد ظهـرت بـذور المقالـة فـي الأدب العربـي منـذ القـرن الثانـي للهجـرة فـي الرسـائل الأدبيّـة، ومـا تحويـه مـن موضوعـات مثـل الإخوانيـات، ومـا تتضمنـه مـن مناظـرات ومسـامرات وموضوعـات أخـرى، تفـرّد بهـا الشـعر، كالغـزل والمديـح والهجـاء والفخـر والوصـف، رغـم الأسـلوب الإنشـائي والصنعـة اللفظيـة. وتعـدّ رسـالة «صفـة الإمـام العـادل» للحسـن البصـري الّتـي كتبهـا إلـى الخليفـة عمـر بـن عبـد العزيـز، بطلـبٍ منـه واصفًـا فيهـا الإمـام (الخليفـة) العـادل مثـلًا جيـدًا علـى المقالـة الأخلاقيـة الوعظيـة.

أمّـا المقالـة فـي العصـر الحديـث فقـد ارتبطـت بظهـور الصحافـة، ونشـأت فـي حضنهـا، وقـد ذكـر محمـود نجـم للمقالـة أربعـة أطـوار، هـي:

الطـور الأول: يضـم كُتَّـاب الصحـف الرسـمية، مثـل رفاعـة رافـع الطهطـاوي، وميخائيـل عبـد السـيد، وعبـد اللّـه أبـو السـعود، ومحمـد أنسـي، وتمتـدّ حتّـى الثـورة العرابية. وقـد نشـروا مقالاتهـم فـي «الوقائـع المصريـة» و«وادي النيـل» و«الوطـن» و«روضـة الأخبـار» و«مـرآة الشـرق»، وتناولـوا المواضيـع السياسـية، وتميـز أسـلوبهم بكثـرة اسـتخدام المحسـنات البديعيـة والزخـرف اللفظـي.

الطـور الثانـي: تأثـر بنشـأة الحـزب الوطنـي الأول، وبـروح الثـورة الّتـي سـبقت الحركـة العُرابيـة، وبالأدبـاء السـوريين الذيـن اسـتقروا فـي مصـر، ولعبـوا دورًا كبيـرًا فـي تطويـر المقالـة. مـن أبـرز كُتَّـاب هـذا الطـور: أديـب إسـحق، وسـليم النقـاش، وسـعيد البسـتاني، وعبـد اللّـه نديـم، ومحمـد عبـده، وإبراهيـم المويلحـي، ومحمـد عثمـان جـلال، وعبـد الرحمـن الكواكبـي، وبشـارة تقـلا. ومـن أهـم الصحـف الّتـي كتبـوا فيهـا نذكـر «الأهـرام» و«مصـر» و«الفـلاح» و«الحقـوق»، وقـد تناولـت مقالاتهـم مواضيـع اجتماعيـة، وقـد تحللـت مـن الصنعـة اللفظيـة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الطـور الثالـث: ظهـرت فـي هـذا الطـور مدرسـة صحفيـة حديثـة، نشـأت فـي عهـد الاحتـلال الانكليـزي لمصـر، مـن أبـرز روادهـا: علـي يوسـف، ومصطفـى كامـل، وعبـد العزيـز جاويـش، وولـي الديـن يكـن، وسـليم سـركيس، ومحمـد رشـيد رضـا، وخليـل مطـران، وأحمـد لطفـي السـيد، كمـا ظهـرت صحـف ناطقـة باسـم أحـزاب سياسـية، فـكان الزعيـم مصطفـى كامـل الناطـق باسـم الحـزب الوطنـي ينشـر مقالاتـه فـي جريـدة «اللـواء»، وكان أحمـد لطفـي السـيد يمثـل حـزب الأمـة، وينشـر مقالاتـه السياسـية والفكريـة فـي جريـدة «الجريـدة».

الطـور الرابـع: المدرسـة الحديثـة الّتـي تبـدأ بالحـرب العالميـة الأولـى وبأحـداث ثـورة 1919 المصريـة، وقـد ظهـرت فـي هـذه الفتـرة صحـف تركـت أثرهـا فـي كتابـة المقالـة مثـل جريـدة «السـفور» لعبـد الحميـد حمـدي، و«الاسـتقلال» لمحمـود عزمـي، وقـد شـارك فـي تحريرهـا طـه حسـين، وجريـدة «السياسـة» لمحمـد حسـين هيـكل، وكانـت ناطقـة باسـم حـزب الأحـرار الدسـتوريين، وجريـدة «البـلاغ» لعبـد القـادر حمـزة، وجريـدة «الأسـبوع» لإبراهيـم عبـد القـادر المازنـي، وقـد تناولـت المقالـة فـي هـذا الطـور مواضيـع سياسـية، وتميـز أسـلوبها بالوضـوح والدقـة.

وواضـح أنّ هـذه الأطـوار تركّـز علـى تطـور المقالـة فـي مصـر، وقـد أشـار محمـود نجـم نفسـه إلـى أنّ المقالـة الصحفيـة فـي لبنـان كانـت أسـرع تطـورًا مـن المقالـة فـي مصـر.

ومنـذ ذلـك الوقـت قطعـت المقالـة، علـى اختـلاف أنواعهـا، شـوطًا كبيـرًا، فصـار لـكل بلـد كُتَّابـه، وتنوّعـت موضوعـات المقالـة، وقضاياهـا، وتطـورت أساليبها، وصـارت المقالـة مـن أكثر أشـكال الكتابـة شـيوعًا وانتشـارًا.

ولا شـكّ أنّ لكتابـة المقالـة أصـولًا يلتـزم بهـا الكُتّـاب، منهـا: تحـرّي الدقـة فـي نقـل المعلومـات، والموضوعيـة فـي عـرض وجهـات النظـر، والصـدق والعدالـة، وعـدم التحيّـز، واللغـة السـليمة المشـرقة الواضحـة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إشاراتٌ يُرْسِلُها الشُّهَداءُ *

الدكتورة فاطمة الصايغ

احتفالاتُنا بيومِنا الوطنيِّ الرّابعِ والأربعينَ سوفَ تكونُ مغايرةً. ففي هذا العامِ تعودُ ذكرى الثّاني من ديسمبرَ وقد تكرّسَتْ في نفوسِ أبناءِ الاتّحادِ قيمٌ عدّةٌ، بعضُها عرفَها، وعركَها بمعناها العفويِّ البسيطِ، والبعضُ الآخرُ يتعرّفُ الآنَ عن قربٍ بمعناها الواقعيِّ والفعليِّ.

ذكرى اليومِ الوطنيِّ هذا العامُ تتواكبُ معَ ذكرى يومِ الشّهيدِ؛ وهو اليومُ 30 من نوفمبرَ، وهو اليومُ الّذي خصّصَتْهُ الإماراتُ لذكرى جميعِ شهدائِنا. أعيادُنا الوطنيّةُ تعودُ هذا العامَ ولدى أبناءِ الإماراتِ مخزونٌ أكبرُ منَ الولاءِ للوطنِ والانتماءِ له، والرّغبةُ في التّضحيةِ لأجلِهِ.

عرفَ تاريخُ الإماراتِ شهداءَ ضحّوا بأرواحِهم في سبيلِه منذُ قيامِ الاتّحادِ وتقديمِ أوّلِ شهيدٍ: هو سالمُ سهيل خميس الّذي ضربَ أروعَ نماذجِ البطولةِ عندَما تصدّى بسلاحِه البسيطِ لقوّةٍ قوامُها البطشُ والجبروتُ، وهو يدافعُ عن أرضِهِ ووطنِهِ في جزيرةِ طُنْبِ الكُبرى، وظلَّ مرابطًا يدافعُ عن أرضِهِ حتّى سقطَ أوّلَ شهيدٍ في تاريخِ دولةِ الإماراتِ، وذلك يومُ 30 نوفمبر 1971.

فلا غروَ أنْ يتمَّ اختيارُ ذلك التّاريخِ يومًا للشّهيدِ، خاصّةً بعدَ أنْ قدَّمَتِ الإماراتُ ثُلّةً أخرى من شبابِها شهداءَ ومدافعينَ عن قيمِ المواطنةِ والانتماءِ. فقد دخلَتِ الإماراتُ هذا العامَ طرفًا في التّحالفِ العربيِّ لإعادةِ الشّرعيّةِ في اليمنِ، هذا التّحالفُ الّذي يشنُّ حتّى هذه اللّحَظاتِ حربًا ضروسًا في اليمنِ ضدَّ المتمردينَ الّذين اغتصبوا الشّرعيّةَ.

احتفالاتُنا بيومِ الشّهيدِ هذا العامَ سوفَ ترسلُ إشاراتٍ قويّةً ومتعدّدةً للعديدِ منَ الأطرافِ، أولى تلك الإشاراتِ للّذين تُسَوِّلُ لهم أنفسُهمُ التّفكيرَ في خيانةِ الوطنِ أو الاعتداءِ على عرضِهِ أَوْ تهديدِ القيمِ الحضاريّةِ الّتي يقومُ عليها.

إنّها إشارةٌ قويّةٌ لكلِّ شخصٍ مقيمٍ على أرضِ هذه الدّولةِ للمواطنِ والمقيمِ بأنَّ دولةَ الإماراتِ تدخلُ الآنَ عصرًا جديدًا في تاريخِها، وتفتحُ صفحةً جديدةً مستمدّةً من تضحياتِ

* جريدة البيان: 15 نوفمبر 2015.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أبنائِها، ومن كلِّ قطرةِ دَمٍ أُريقَتْ في سبيلِ العزّةِ والقيمِ الإيجابيّةِ الّتي قامَ عليها هذا الوطنُ.

ثاني تلك الإشاراتِ ما يختصُّ باللُّحمةِ الاجتماعيّةِ، وتوحّدِ الرّؤى والمواقفِ الوطنيّةِ بينَ أبناءِ الوطنِ من أقصاه إلى أقصاه قيادةً وشعبًا، وهذا يفنّدُ المزاعمَ الّتي قد تظهرُ بينَ الفَيْنَةِ والأخرى عن اختلافِ المواقفِ تجاهَ القضايا المصيريّةِ والكبرى الّتي تخصُّنا جميعًا.

فما حدثَ وحّدَنا ولم يفرّقْنا، ووحّدَ مواقفَنا، ولم يفرقْها، ووجّهَ بوصلتَنا تجاهَ قضيةٍ واحدةٍ؛ وهي أنَّ أمنَنا من أمنِ وطنِنا، وأنّ قضيّةَ الأمنِ القوميِّ لا تتجزّأُ أبدًا.

ثالثُ تلك الإشاراتِ ما يتعلّقُ بتعميقِ الولاءِ والانتماءِ للوطنِ بينَ جيلِ الشّبابِ بالتّحديدِ، ذلك الجيلُ الّذي لم يحضرِ البناءَ الأوّلَ للاتّحادِ، ولمْ يشهدْ سقوطَ أوّلِ شهيدٍ، ولكنّه بالتّحديدِ شهدَ ارتفاعَ عَلَمِ الإماراتِ عاليًا بينَ الأُممِ، وشهدَ سقوطَ ثلّةٍ من شبابِ الإماراتِ دفاعًا عن قيمِ الإماراتِ الحضاريّةِ وواجباتِها القوميّةِ.

هذا الشّبابُ الّذي نالَ حظًّا وافرًا مِنْ رفاهِ الإماراتِ ورفاهيّتِها لم تُلْهِهِ الحياةُ بملذّاتِها الماديّةِ عن ولائِه لوطنِه وانتمائِه لها، بلْ عركَتْهُ الأحداثُ الأخيرةُ لتخلقَ منه شبابًا واعيًا لدورِه في بناءِ الوطنِ، وواعيًا لما تقومُ به الإماراتُ من تضحياتٍ من أجلِ أمنِ الإماراتِ، وأمنِ منطقةِ الخليجِ ككلٍّ.

إنَّ شهداءَنا الّذين سقطوا دفاعًا عن مكتسباتِنا يقومونَ يوميًّا بإرسالِ إشاراتٍ قويّةٍ لكلِّ مواطنٍ ومقيمٍ على أرضِ هذه الدّولةِ، إشاراتِ فخرٍ وتقديرٍ لكلِّ جنديٍّ اختطَّ لنفسِه مسارًا وطنيًا يملؤُنا جميعًا فخرًا واعتزازًا بجنودِنا البواسلِ الّذينَ لا يزالونَ على خطِّ النّارِ، وإشاراتٍ لشبابِنا بأنَّ الحياةَ ليسَتْ رفاهًا وملذّاتٍ، بلْ قيمٌ يجبُ إعلاؤُها، وولاءٌ للوطنِ يجبُ إظهارُه.

كما أنَّ شهداءَنا يرسلونَ إشاراتٍ قويّةً لكلِّ مَنْ تُسَوِّلُ له نفسُهُ العبثَ بأمنِ الوطنِ أَوْ خيانتِهِ أَوْ التّفكيرِ في الاعتداءِ عليهِ. تلك هي بعضٌ منَ الإشاراتِ الّتي يرسلُها شهداؤُنا ونستقبلُها نحنُ بكلِّ فخرٍ واعتزازٍ وتقديرٍ.

إنَّ احتفالاتِنا باليومِ الوطنيِّ ويومِ الشّهيدِ هذا العامَ سوفَ تظلُّ في ذاكرتِنا وذاكرةِ الأجيالِ الجديدةِ لفترةٍ طويلةٍ مُقبلةٍ ليسَ لكونِها المرّةَ الأولى الّتي نُخصّصُ فيها يومًا للشّهيدِ، ولكنْ لكونِها المرّةَ الأولى الّتي نحتضنُ فيها مناسبتينِ غاليتينِ على قلوبِنا، مناسبتينِ توحِّدانِنا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وَتُثَبِّتانِ تلاحمَنا الوطنيَّ والاجتماعيَّ، وَتُثَبِّتانِ ولاءَنا وحبَّنا للإماراتِ.

ولا ننسى في هذه المناسبةِ أيضًا أُسَرَ الشّهداءِ الّذينَ قدّموا فلذاتِ أكبادِهم فداءً للوطنِ، ونقولُ لهم: إنّنا جميعًا معَكم، نشدُّ على أيديكم، ونتذكّرُ معَكم أنَّ أغلى شيءٍ لدينا هو الوطنُ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

2016 التَّعليمُ ثُمَّ التَّعليمُ *

د. خالد الخاجة

الدكتور خالد الخاجة
عميد كلية الإعلام والمعلومات
في جامعة عجمان

باعتبارِهِ خطَّ الدّفاعِ الأوّلِ في الدّفاعِ عَمّا حقّقَتْهُ دولتُنا مِنْ مُكتسباتٍ، وباعتبارِهِ الثّروةَ الحقيقيّةَ الّتي لا تنضبُ، بَلْ هيَ الثّروةُ الّتي تتجدّدُ معَ كُلِّ فكرةٍ جديدةٍ من عقلٍ نَيّرٍ في أيِّ مرحلةٍ على سُلّمِ التّعليمِ، كما أنّه الاستثمارُ المحكومُ بنجاحِه حتمًا، وهوَ البابُ الواسعُ لتقدّمِ الأممِ وارتقائِها على سُلّمِ الرّفاهِ الحضاريِّ.

كما أنّهُ المضمارُ الّذي تتسابقُ فيه الأُمَمُ والشّعوبُ للوصولِ إلى ذروةِ سنامِ الحضارةِ الإنسانيّةِ، فلا حضارةَ ولا تقدّمَ دونَ عِلْمٍ، ولا عِلْمَ حقيقيًّا دونَ تعليمٍ متينٍ، ولا تعليمَ متينًا دونَ إدراكٍ لدورِهِ في حياةِ الإنسانِ، وتوظيفِهِ في حَلِّ ما يواجهُهُ مِنْ مُشكلاتٍ، وَيُجابهُهُ مِنْ تَحدّياتٍ، ولا قُدرةَ للتّعليمِ على فعلِ ذلك دونَ وضعِ برامجَ تعليميّةٍ ومناهجَ معنيّةٍ ببناءِ الشّخصيّةِ، في الوقتِ الّذي تزوّدُهُ فيهِ بالمعلومةِ، وَتُكسِبُهُ المهارةَ.

ولأنّ الأمرَ على هذا النّحوِ، فإنّ تَطلّعاتي، وَإنْ شئْتَ الدّقةَ، مِنْ أمنياتي لعام 2016، أنْ يكونَ المُخْرَجُ التّعليميُّ، وبخاصّةٍ في مراحلِهِ الأولى، قادرًا على تلبيةِ طموحاتِ القيادةِ السّياسيّةِ الرّشيدةِ، الّتي تدفعُ بزخمٍ شديدٍ على طريقِ الارتقاءِ بمنظومتِهِ.

أُمنياتي أَنْ يُدركَ العاملونَ بالحقلِ التّعليميِّ أنّهم يشاركونَ بمخرجاتِهم في صناعةِ مستقبلِ الوطنِ، لأنّ أطفالَ اليومِ هُمْ كبارُ الغَدِ، وعلى قَدْرِ عِلْمِهم يكونُ مستوى عملِهم، وما يحملونَهُ مِنْ صفاتٍ إنسانيّةٍ ومهاراتٍ نوعيّةٍ، تحدّدُ قيمةَ ما يقدّمونَهُ وجودتَهُ، وَأنّ الطّفلَ في مراحلِ تعلّمِهِ المختلفةِ، يقضي في مدرستِهِ وَمعَ مُعلّميهِ وقتًا أضعافَ ما يمكثُهُ معَ أفرادِ أسرتِهِ، ما يضاعفُ مِنْ تأثيرِهم، فلتكنِ التّنشئةُ موازيةً للتّعليمِ.

رغمَ الاتجاهِ إلى الحداثةِ واستخدامِ التّكنولوجيا في التّعليمِ، إلّا أنّهُ يجبُ أَنْ تكونَ التّكنولوجيا مُعظِّمةً لما يكتسبُهُ الطّالبُ؛ لا تخصمُ مِنْ رصيدِهِ على أهمّيتِها. «الشّاهدُ» أنّ الاعتمادَ على لوحةِ المفاتيحِ في الكتابةِ ضاعَتْ معَهُ مَهاراتُ الكتابةِ بخطِّ اليدِ،

*) جريدة البيان، 29 ديسمبر 2015.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فضلًا عنِ الكتابةِ الصّحيحةِ؛ في ظلِّ الاعتمادِ على المُصحّحِ اللّغويِّ خلالَ الكتابةِ، وهو ما يربكُ الطّالبَ في الجامعةِ حينَ يُقدّمُ طلبًا، أَوْ يُعبّرُ عن موقفٍ مَرَّ بِهِ، وتطالبُهُ أنْ يكتبَ ذلكَ.

إنَّ الحصصَ الخاصّةَ بالخطِّ العربيِّ، يجبُ أنْ تعودَ، لأنَّ الخطَّ العربيَّ لا يُستخدَمُ للكتابةِ فحسبْ، ولكنَّ مَجالَهُ واسعٌ في تخصّصاتِ التّصميمِ (الغرافيكيِّ) والفنونِ الجميلةِ، فكيفَ بِمَنْ يعوزُهُ التّعبيرُ بِهِ أَنْ يرى فيه جمالًا، وهذا لَنْ يتأتّى إلّا إذا شعَرَ الطّالبُ بجمالِ اللّغةِ، وجمالُها لنْ يعرفَهُ مَنْ لمْ يقرأْ، فالقراءةُ هيَ البابُ الواسعُ لِحُبِّ العربيّةِ وإدراكِ كنوزِها، لذا، وجبَ أَنْ تعودَ حصّةُ المكتبةِ، حتّى لَوْ لَمْ يخرجِ الطّالبُ منها بغيرِ قراءةِ عناوينِ الكتبِ، فَمَنْ يقرأُ العنوانَ، حتمًا يومًا سيقفُ عندَ أحدِها ليستكشفَ محتواهُ، لتبدأَ الحكايةُ.

ولأنّ مَنْ يدركُ الجمالَ في الحياةِ والكونِ وحركةِ النّاسِ مِنْ حولِهِ، يصعبُ أَنْ تجدَهُ يومًا فريسةً للفوضى والتّعصّبِ، لذا، وجبَ أَنْ يُعادَ الاهتمامُ بالتّربيةِ الفنيّةِ الّتي تُهذّبُ النّفسَ، وَتُرَقّي الذّوقَ، وتضبطُ السّلوكَ، وَتُنَمّي الإحساسَ، وتجعلُ الفردَ قادرًا على رؤيةِ محاسنِ الحياةِ وتجلّياتِها وَجَلالِ خالِقِها، فضلًا عنِ الإذاعةِ المدرسيّةِ، بما تحويهِ مِنْ موادَّ تُنمّي لديهِ مَهاراتِ الاتّصالِ والتّواصلِ معَ الآخرينَ، ليكتشفَ الطّالبُ، ونحنُ معَهُ، مهاراتٍ ومواهبَ لم يَكُنْ لها أَنْ تكونَ إلّا بهذِهِ النّشاطاتِ.

والحقُّ أنَّ التّطلّعَ إلى المنظومةِ التّعليميّةِ وتمنّي الارتقاءِ بها في العامِ الجديدِ، ذلك لأنّ الأمنياتِ كافّةً لعامِ 2016، تجدُ أنّها تبدأُ بالتّعليمِ، أَوْ تجدُهُ قاسمًا مشتركًا أعظمَ فيها، فَمَنْ يَتمنّى أَنْ تظَلَّ الإماراتُ واحةَ الأمنِ وَقِبلةَ الباحثينَ عنه والفارّينَ مِنْ أتونِ التّعصّبِ والمحنِ، لنْ يكونَ ذلكَ إلّا عبرَ تعليمٍ يؤكّدُ أنَّ الأمنَ أوّلًا، هو ما قالَه رسولُ اللّهِ ﷺ حينَ قالَ: «مَنْ باتَ آمنًا في سِرْبِهِ»، وَمَنْ يَتمنّى أَنْ يحفظَه اللّهُ مِنْ كُلِّ داءٍ.

فلنْ يكونَ ذلكَ إلّا بتعليمٍ قادرٍ على تخريجِ كفاءاتٍ نوعيّةٍ تملكُ أدواتِ عصرِها، مِنْ دَأبِ البحثِ والقدرةِ على الابتكارِ، إدراكًا منها لقيمةِ ما تقومُ بِهِ، لأنّهُ ما قالَهُ الرّسولُ الكريمُ ﷺ بعدَ الأمنِ «مُعافًى في بدنِه»، فعافيةُ الأبدانِ مِنْ مُتطلّباتِ الاستمتاعِ بباقي النِّعَمِ، وَمَنْ يَتمنّى الحياةَ الرّغْدةَ، لَنْ يكونَ إلّا بتعليمٍ يجعلُ أصحابَهُ قادرينَ على

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الفكرِ المنجزِ، والعملِ المتقنِ الذي لمسَهُ النّاسُ، وهو ما اختتمَ بهِ الرّسولُ الكريمُ ﷺ: «يَمْلِكُ قوْتَ يومِهِ».

بهذِهِ الثّلاثيّةِ الفَذّةِ: الأمنِ والصِّحةِ والغذاءِ يستطيعُ الإنسانُ أَنْ يقومَ بمتطلّباتِ وجودِهِ، وَيعيَ فلسفةَ إعمارِهِ للأرضِ. وَيقينًا إنّ التّعليمَ حاضِرٌ قويٌّ، وَحاضِنٌ أمينٌ لتحقيقِها على الأرضِ، فالجهلُ لا ينتجُ غيرَ الفقرِ والمرضِ والتّعصُبِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

في حياةِ طفلةٍ *

جميلة البشري

كُنْتُ أترقّبُ قَرْعَ جَرَسِ الفُسحةِ كُلَّ يومٍ؛ لأنطلقَ راكضةً إلى تلكَ الغرفةِ الصّغيرةِ الَّتي تتوسّطُ الصّفوفَ الدّراسيّةَ، وهيَ جديدةٌ كانَتْ قدْ أُنشِئتْ منذُ مدّةٍ قصيرةٍ، لا تزالُ تفوحُ منْها رائحةُ الطّلاءِ، لتمتزجَ برائحةِ الكُتبِ والورقِ مزيجًا اختزلَتْهُ الذّاكرةُ بِحُبٍّ في صندوقِها الطّفوليِّ إلى اليومِ.

لَمْ أَكُنْ أعرفُ أنّها مكتبةُ المدرسةِ، إلّا حينَ رأيتُ إحدى الطّالباتِ تمرُّ بجانِبي، ولفتَ انْتباهي شارةٌ صغيرةٌ مستديرةُ الشّكلِ مثبّتةٌ أعلى طرفِ الزّيِ المدرسيِّ، وَقدْ كُتِبَ عليها «أصدقاءُ المكتبةِ»، فاجأتْني تلكَ العلامةُ حينَها، أوقفْتُها وسألتُها، ماذا تعني هذهِ الإشارةُ، فأفْهَمَتْني أنّهُ تمَّ إنشاءُ مكتبةٍ في المدرسةِ، وأنّهُ تَمَّ اختيارُها ضمنَ مجموعةِ أصدقاءِ المكتبةِ.

في ذلكَ العُمْرِ، لَمْ يكنْ يهمُّني طرحُ مزيدٍ منَ الأسئلةِ، هُناكَ شيءٌ أهمُّ في رأسي، وارتسمَ أمامَ عينيَّ. كانَ ذلكَ بعدَ انتهاءِ الدّوامِ المدرسيِّ، انتظرتُ بفارغِ الصبرِ إشراقةَ يومِ غدٍ.

يقينٌ أنّي كُنْتُ أوّلَ طفلةٍ دَخَلَتْ بوّابةَ المدرسةِ صباحًا، في يومٍ شِتويٍّ باردٍ، هرعتُ إلى تلكَ الغرفةِ الصّغيرةِ الجديدةِ القابعةِ وسطَ المدرسةِ، طرقتُ البابَ، وبسرعةٍ أدرتُ المِقْبَضَ لأفتحَهُ، كانَ لا يزالُ مُقفلًا، لأنّهُ لا أحدَ في المدرسةِ غَيري، وإحدى العاملاتِ الَّتي كانَتْ قدْ وصلتْ للتوِّ.

أشارتْ لي بيدِها بِجِدَّةٍ مِنْ بعيدٍ، بأنْ أبتعدَ عنِ البابِ لا أحدَ بالدّاخلِ، أردتُ إيهامَها بأنّي انصرفْتُ، فَركضْتُ للنّاحيةِ المقابلةِ، واختبأتُ بجانبِ أحدِ الفصولِ حتّى لا تَراني، وما إنِ اختفتْ حتىّ عُدْتُ أدراجي أمامَ البابِ.

جاءتِ اللّحظةُ المهمّةُ، أقبلتِ المعلمةُ، بوجهِها الصّبوحِ الهادئِ، بصفاءِ النّيلِ ومنبعِهِ، فتحَتْ بابَ الغرفةِ وهيَ تنظرُ إليَّ، مبتسمةً، حتّى الابتسامةُ العذبةُ النّابعةُ منْ قلبِ المعلّمِ، لا ينساها الطّفلُ، ولهذا لَمْ أنْسَها إلى الآنَ. أَلقتْ عَلَيَّ تحيّةَ الصّباحِ وأنا الطّفلةُ، كَمْ أَحسسْتُ نفسي كبيرةً، لأنّها قالتْ ليَ صباحَ الخيرِ، بكلِّ حنانٍ ومحبّةٍ، وأنا كعُقْلَةِ الإصْبَعِ أمامَها، رَددْتُ

*) جريدة البيان، 29 يناير 2016

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

التّحيةَ بكلِّ أدبٍ وسعادةٍ.

دخلتِ المعلّمةُ الغرفةَ، وهناكَ كائنٌ صغيرٌ خلفَها يتبَعُها، وما إنْ جَلَستْ على الكرسيِّ خلفَ الطّاولةِ، دخلتُ أنا في الموضوعِ مُباشرةً..

قُلْتُ لها: إنّني أحبُّ القراءةَ، وأريدُ أنْ أقرأَ كلَّ الكتبِ الّتي في المكتبةِ، فَهلْ تأذنينَ لي بأنْ آخذَ كلَّ يومٍ مجموعةً لأقرأَها، وَهلْ يمكنُ أَنْ أكونَ صديقةً للمكتبةِ؟ كانَتْ تنظرُ إليَّ وهيَ مبتسمةٌ، وسألتْني: ألهذِهِ الدّرجةِ تُحبّينَ القراءةَ! قُلْتُ: نَعَمْ، وَبإمكاني أَنْ أُساعدَكِ في قراءةِ كُلِّ الكتبِ. ضَحِكَتْ، وَسألتْني: في أيِّ صَفٍّ أنتِ؟ فَأَجبْتُ: في الصّفِّ الرّابعِ. قالتْ: نحنُ نأخُذ طالباتِ الصّفِّ السّادسِ فقطْ.. ولكنّني سآخُذُكِ ضمنَ المجموعةِ؛ لأنّكِ تُحبّينَ القراءةَ.

أَجلستْني وَناولتْني قِصّةً، وَقالتْ: أُريدُكِ أَنْ تقرئي لي، كانَتْ قصّةَ «الجميلةُ والوحشُ»، بغلافِها الأخضرِ ورسوماتِها الجميلةِ، بَدأْتُ أقرأُ، وَنسيْتُ وجودَ المُعَلِّمةِ، إلى أنِ استوقَفَتْني عنِ المتابعةِ..

وَأثنتْ على إجادَتي للقراءةِ باللّغةِ العربيّةِ، وَحُسْنِ نُطقي للحروفِ وَسَلامَتِهِ في هذِهِ السّنِّ الصّغيرةِ. ذلكَ الثّناءُ الّذي يعطي التّلميذَ دفعةً معنويّةً، تجعلُهُ يثقُ بنفسِهِ، ويمضي بِصِحّةِ منهجِهِ في أوّلِ مراحلِ حياتِهِ الدّراسيّةِ.

تلكَ السّنةَ قَرأْتُ كلَّ ما تحتويهِ سلسلةُ «المكتبةِ الخضراءِ»مِنْ قصصِ الأطفالِ، بالإضافةِ إلى قصصِ دورِ النَّشرِ الأُخرى، وَمجلّاتِ الأطفالِ والألغازِ، وروايات (أغاثا كريستي) البوليسيّةِ، وَلمْ أنتَهِ مِنَ الصّفِّ السّادسِ، إلّا وَقدْ عَرّجْتُ على روائعِ الأدبِ العالميِّ.

اقترحْتُ يومًا على والدي -رحمَهُ اللّهُ- أنْ يصحبَنا أنا وإخوتي بانتظامٍ إلى المكتبةِ؛ ليختارَ كُلٌّ منّا كتابًا ويقرؤهُ، وكانَ اختياري يومَها رائعةَ الأدبِ العالميِّ «البؤساء»، للكاتبِ الفرنسيِّ (فيكتور هوغو)، وفي النّهايةِ، كانتِ الحصيلةُ أَنْ قُمْتُ بجمعِ كُلِّ ما اختارَهُ إخوتي مِنْ كُتبٍ؛ لأودِعَها أَرْفُفَ مكتبتي الصّغيرةِ، الّتي كَبُرَتْ معي، فصرتُ الآنَ أمتلكُ مكتبةً رائعةً، هيَ حياتي ومصدرُ سعادتي.

أجملُ الأيامِ، حينَ يبدأُ معرِضُ الكتابِ، وكأنَّ بحرًا مِنَ العلومِ والمعرفةِ قَدْ أرسى سفينَتَهُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أمـامَ كلِّ مُحِـبٍّ للقـراءةِ؛ لينهـلَ منـهُ، أيـامٌ قليلـةٌ، ولكنّهـا عظيمـةُ الفائـدةِ.

وَمـعَ كُلِّ رحلـةٍ، تحمـلُ حقيبـةُ سَـفري كُتبًـا، أصحَبُهـا وتصحَبُنـي؛ لأعـودَ مُحمّلـةً بكتـبٍ مـنْ ثقافـةِ البلـدِ محـلِّ الزّيـارةِ، وَكـمْ تلفِتُنـي مشـاهدُ الشّـعوبِ القارئـةِ مِـنْ مختلـفِ الأعمـارِ فـي جميـعِ المرافـقِ، مُتمنّيـةً أَنْ نعيشَـها نحـنُ كأسـلوبِ حيـاةٍ.

مُناسـبةُ كتابَتـي لفصـلٍ مِـنْ أجمـلِ مراحـلِ الطّفولـةِ، هـيَ مُبـادرةُ سـيّدي صاحـبِ السّـموِّ الشّـيخِ خليفـةَ بـنِ زايـدٍ آلِ نهيـانَ رئيـسِ الدّولـةِ –حفظـه اللّـه– بتخصيـصِ عـامِ 2016 عـامَ القـراءةِ فـي الإمـاراتِ، لترسـيخِ القـراءةِ كعـادةٍ مجتمعيّـةٍ شـعبيّةٍ شـبابيّةٍ فـي مجتمعِنـا.

الخُلاصـةُ، أَنَّ البُنيـانَ يبـدأُ مِـنَ الصِّغَـرِ، اللَّبِنَـةُ الأُولـى هـيَ المكتبـةُ، وهنـاكَ الجـزءُ المهـمُّ، وهـوَ أمينـةُ المكتبـةِ، فلـوْ كانَـتْ صَلِفَـةً وَسـخرتْ منّـي أَوْ تجاهلَتْنـي، رُبَّمـا كنـتُ كَرِهْـتُ وَنفـرتُ مِـنَ القـراءةِ بسـببِها، وَهُنـاكَ أبٌ شَـجّعَ أبنـاءَهُ علـى القـراءةِ ودعمَهـمْ، بالإضافـةِ إلـى المـوادِّ الشّـائقةِ والبرامـجِ التّثقيفيّـةِ المتنوعـةِ الهادفـةِ الَّتـي تثـري العقـلَ بالمدخـلاتِ السّـليمةِ.

الرّهانُ على الأطفالِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

اترك بصمةَ إنجازِكَ *

شيخةُ المسكريّ

الكلُّ يردّدُ دائمًا على مسامِعِنا جُملةَ «الحياةُ قصيرةٌ»، بقصدِ أَنَّ عليكَ أَنْ تعيشَها كما تتمنّى، وتفعلَ ما تشاءُ وتشتهي، وما الحياةُ إلّا مَحطّةٌ، والإنسانُ زائرٌ، فليحسِنِ الزّيارةَ، وما أسمى أنْ يكونَ للإنسانِ هَدفٌ كأنْ يُفيدَ غيرَهُ مِنَ النّاسِ، وَيعملَ على خِدمةِ وَطنِهِ.

كُلُّنا نُريدُ أَنْ نتركَ بصمةً خلفَنا؛ ليتذكَّرَنا بها الجميعُ.. فماذا ستكونُ بصمتُكَ؟ ماذا لو مُنِحْتَ الفرصةَ لتكونَ فردًا فاعلًا في مجالٍ تُحبّهُ، وما عليكَ إلّا أَنْ تُثبِتَ جدارتَكَ فيهِ؟ كيفَ تُريدُ أَنْ يتذكّرَكَ النّاسُ؟ أَتودُّ أَنْ يتذكّروكَ باسمِكَ مِنْ خلالِ أعمالِكَ وإنجازاتِكَ، أَمْ أَنْ يتذكّروكَ مِنْ خلالِ أعمالِ وَإنجازاتِ شخصٍ آخرَ، فيحاولوا أَنْ يجدوا صِلةَ قَرابةٍ بينَكَ وَبينَ شَخصٍ يعرفونَهُ؟ فتصبحَ اسمًا مُلتصقًا كدودةٍ طفيليَّةٍ على ظَهْرِ شخصٍ ذي أهميَّةٍ!

تمرُّ الأيامُ سريعةَ الوتيرةِ، وَيظلُّ الكثيرونَ كما هُمْ في أماكِنِهِمْ لَمْ يُضيفوا شيئًا على هذهِ الحياةِ سوى زفراتِ الأسى، ينظرونَ إلى أنفسِهِمْ وسنينَ أعمارِهِمْ تطويها الأَيامُ طَيًّا بلا أفعالٍ تُخَلَّدُ، ولا إنجازاتٍ تُذكرُ، ولا أشخاصٍ يحملونَ لهُمْ أيَّ نوعٍ مِنَ الامتنانِ.

باختصارٍ، هيَ بطالةٌ حقيقيَّةٌ! ووسطَ التَّخبُّطِ بينَ المظاهرِ والمعاناةِ وغيابِ الحوارِ، هناكَ جيلٌ مِنَ الشَّبابِ يملكُ طاقاتٍ جبّارةً ومواهبَ مُذهلةً تنتظرُ أَنْ تنفجرَ، ولكنَّها تنجرفُ معَ التّيارِ وتتَّبعُ ما يُمليهِ عليها المجتمعُ مِنْ ميولٍ، فيبدأُ في تسخيرِ طاقاتِهِ في أمورٍ عقيمةٍ، ويدورُ حَوْلَ حلقةٍ مُفرغةٍ لا يعلمُ كيفَ يخرجُ مِنْها. وهذا ما نُشاهدُهُ في نطاقاتِ العالَمِ الافتراضيِّ، وكلِّ ما يحتويهِ مِنْ مُشاركاتٍ تَصدرُ مِنْ عالَمِنا العربيِّ، فمعظمُ ما نُقدِّمُهُ للعالَمِ لا يرتقي للمستوياتِ الَّتي نتمنّى أَنْ نرى أنفسَنا عليها.

لطالما كانَ شغلُنا الشّاغلُ كيفيَّةَ توظيفِ طاقاتِ شبابِنا في مُختلفِ المجالاتِ، ثُمَّ توجيهِها لخدمةِ هَدفٍ أسمى وَأكبرَ. وَالمشكلةُ الحقيقيَّةُ تكمنُ في أنَّ البعضَ ما عادَ يؤمنُ بقُدُراتِ الشّبابِ، فأصبحَ يُحبطُهُمْ، ولا يأخذُهُمْ على مَحملِ الجِدِّ، فشريحةٌ كبيرةٌ منهُمْ مُستهترةٌ، وَغيرُ مُباليةٍ، وَأصبحْنا نُطبّقُ هذِهِ النَّظرةَ على الجميعِ ظنًّا أنَّهم جميعًا هكذا. البعضُ مِنَ

* جريدة البيان، 02 سبتمبر 2014.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشَّبابِ ضائعونَ بالفعلِ، ولكنَّ الكثيرينَ يحتاجونَ فقط لبعضِ التَّوجيهِ.

الشّبابُ يملكونَ حماسةً عاليةً، وَمنهمْ مَنْ يملكُ أفكارًا إبداعيَّةً، فنظرتُهمْ للأمورِ مُختلفةٌ عَنْ نظرةِ المسؤولينَ أَوْ أصحابِ الخبراتِ، فنظرةُ الشّبابِ لها زاويةٌ لمْ تصطبغْ بعدُ بفعلِ المؤثّراتِ الخارجيّةِ، وهذهِ الزّاويةُ مُهمّةٌ جدًّا لأنّها تُعطي أبعادًا مختلفةً للمشاريعِ، وأفكارًا جديدةً قلّما يستطيعُ الوصولَ إليها غيرُهُمْ، وهيَ أُمورٌ لَنْ يستطيعَ رؤيتَها المسؤولونَ أَوْ أصحابُ الخِبْراتِ.

وَلوْ أَخذْنا مِثالًا على تخليصِ مُعاملةٍ، وتخيّلْنا شَخصينِ، أَحدُهما شابٌّ، والآخرُ كبيرٌ في السِّنِّ، ينتظرانِ إتمامَ نفسِ المعاملةِ الرّوتينيّةِ الطّويلةِ الَّتي تتطلّبُ 40 خطوةً، وَيتساءلانِ لِمَ تأخذُ وقتًا طويلًا؟ فيأتيهما الرَّدُّ: هيَ هكذا منذُ عشرينَ سنةً، فسيردُّ كبيرُ السِّنِّ: لا حَوْلَ ولا قوّةَ إلّا باللّهِ.

أمّا الشّابُّ فيردُّ بورقةٍ وقلمٍ؛ ليجدَ طريقةً يقترحُ فيها اختصارَ عَددِ خُطواتِ أداءِ هذهِ المُعاملَةِ مِنْ 40 إلى 18، تحسينًا للأداءِ، وَمِنْ بابِ خِدمةِ المتعامِلِ (بطبيعةِ الحالِ لَمْ يَتغيّرْ شيءٌ، فهُمْ معتادونَ عليها مثلما هيَ منذُ عشرينَ عامًا)! وَمِنَ الشّبابِ مَنْ يقومُ بإنشاءِ مشاريعَ صغيرةٍ على صفحاتِ «الإنترنتِّ».

وَتتمُّ مُهاجمتُهمْ بشكلٍ شبْهِ يوميٍّ مِنْ أهاليهمُ الَّذينَ لا يوافقونَهُمْ على تضييعِهِمْ لساعاتِ النّهارِ أمامَ هذهِ التَّطبيقاتِ، أَوْ مِنْ أُناسٍ مِنَ العالَمِ الافتراضيِّ لا يعرفونَهُمُ البتّةَ، يتعرَّضونَ لهُمْ، وَيتهجَّمونَ عليهِمْ، وَيُسيؤونَ لهمْ، وَينتقدونَهمْ حتّى يصلوا لدرجةِ الإحباطِ المُزري! يُصابُ الشّبابُ بالإحباطِ وَهُمْ يقترحونَ كُلَّ هذِهِ التَّغييراتِ الَّتي تَصُبُّ في مَصلحةِ العُمومِ، ولتحسينِ الأداءِ، ثُمَّ يُفاجَؤونَ بردودٍ غيرِ مُقنعةٍ كهذهِ، والأكثرُ مَرارةً عندما يقترحونَ بعضَ الأفكارِ، وَيتمُّ انتقادُها بشكلٍ لاذعٍ!

توجيهُ سهامِ الانتقادِ سَهْلٌ جدًّا، وأصبحَ مِنْ هوايةِ البعضِ الانتقاصُ مِنْ أعمالِ الآخرينَ، والإشارةُ إلى مَواضعِ الخَطأِ بغرضِ تحقيرِ جهودِهِمْ. يبحثونَ عَنْ أيِّ نُقطةٍ سلبيّةٍ في العملِ أَوِ المشروعِ؛ ليثيروا ضَجّةً حولَها، وليسَ بهدفِ تحسينِ الشّيءِ؛ فيصابُ الشّبابُ بالإحباطِ الشَّديدِ، فيتوقّفونَ عنِ التَّفكيرِ، وعنِ الأداءِ، وعنِ التَّقديمِ! والشَّبابُ المبدعونَ في المحيطِ مِنْ حولِهِمْ يُصابونَ بنَفْسِ الدّاءِ، فيصابونَ بعقدةِ الخوفِ أيضًا مِنْ أَنْ يكونَ مصيرُهُمْ مِثلَ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مصيرِ أصحابِهِمْ، فلا يجرؤونَ على التَّفكيرِ في خوضِ التَّجربةِ أصلًا! ولكنْ علينا تشجيعُهم، فَهُمْ وقودُ الإبداعِ لِمُستقبلِ الغَدِ الجميلِ.. هُمْ مَنْ سيقودُ عالمَنا العربيَّ، وَينهضُ بهِ مِنْ خلالِ أعمالِهِمُ الرّائعةِ.. الفُرَصُ مُتوفّرةٌ؛ لإثباتِ وجودِهِمْ والوسائلُ كذلكَ، والإماراتُ هيَ البيئةُ المناسبةُ لاستضافةِ كُلِّ مُبدعٍ!

وهذا هوَ صاحبُ السُّموِّ الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ راشدٍ آلِ مكتومٍ نائبُ رئيسِ الدَّولةِ، رئيسُ مجلسِ الوزراءِ، حاكِمُ دُبَيٍّ -رَعاهُ اللّهُ- يُطْلِقُ مُبادرةً هيَ الأولى مِنْ نَوْعِها في العالَمِ العَربيِّ، وهيَ كَشُعلةِ نورٍ للشَّبابِ، وَكُلِّ مَنْ يعملُ جاهدًا؛ ليُحْدِثَ فارقًا إيجابيًّا في العالَمِ الافتراضيِّ، بإطلاقِهِ للجائزةِ العربيّةِ للإعلامِ الاجتماعيِّ، الَّتي تهدفُ إلى تسليطِ الضَّوءِ على الأفرادِ والمؤسّساتِ الَّذينَ يخدمونَ المجتمعَ مِنْ خلالِ القضايا الَّتي تمسّهُ، وَتُحفّزُ التّفكيرَ الإبداعيَّ، وَتُنمّي قُدُراتِ المجتمعِ؛ ممّا يُسْهِمُ في بناءِ الوطنِ والإنسانِ.

الجائزةُ ترتكزُ على ثلاثةِ محاورَ أساسيَّةٍ، هيَ: التّواصلُ والإبداعُ والتَّأثيرُ في مجالاتٍ مهمّةٍ مختلفةٍ، وما على الشَّبابِ إلّا اختيارُ المحاورِ الَّتي تَهُمُّهمْ، والتّركيزُ عليها.

لا تَخْرُجْ منَ الدُّنيا كما دخلتَها خاليًا مِنَ الإنجازِ، بَلْ تواصَلْ، وَأبدِعْ، وَاتْرُكْ أَثرًا.. اقتنصِ الفرصةَ: هذهِ هيَ بصمتُكَ..

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الأعمدةُ الصّحفيّةُ

العَمودُ الصّحفيُّ

يعدّ العمود الصّحفيّ من أكثر أشكال الكتابة الصحفية انتشارًا، ومقروئية؛ وذلك لأنه يجمع بين قصر المساحة وواقعية القضايا الّتي يتحدث عنها، وملاصقتها لمشكلات المجتمع، وقضايا الناس.

ولذلك فالعمود الصّحفيّ من أهم المصادر الّتي تمنح القارئ فكرة واسعة عن طبيعة المجتمع، وأهم قضاياه الحيويّة، فهو يشبه المرآة في أنه يعكس ما تمور به الحياة في مجتمع من المجتمعات في فترة زمنية معينة.

ويمكن تعريف العمود الصّحفيّ بأنه نوع خاص من نصوصُ الرّأي، ينشر بانتظام في صحيفة أو مجلة في مكان ثابت، وتحت مسمى ثابت، وبمساحة ثابتة لا تتغير، ويعبّر عن فكر كاتبه، وشخصيته، وتوجهاته، ويكون الهدف منه –في الغالب– توعية القراء، أو مناقشة فكرة أو قضية يراها الكاتب مهمة.

ولعلّ أكثر ما يتميّز به العمود الصّحفيّ أنه ملتصق بكاتبه، يُسَمّى باسمه في الغالب، ولذلك تكتسب الأعمدة الصحفية مكانتها من مكانة كاتبها، وما اشتهر به من فكر نَيِّرٍ، وموضوعية في عرض القضايا ومناقشتها، وامتلاك لناصية اللغة وأسرارها. ولذلك صار من المتعارف عليه في عالم الصحافة والنشر أنّ العمود الصّحفيّ يعبّر عن رأي كاتبه، وليس شرطًا أن يعبّر عن موقف الصحيفة.

وبسبب ارتباط العمود الصّحفيّ بكاتبه، وانتظامه في الظهور في الصحيفة أو المجلة كل يوم أو كل أسبوع فإنّ نوعًا من علاقة المودّة والتقدير تنشأ بين الكاتب وقرائه، خاصة حين يحرص الكاتب على المصداقية في الطرح، والموضوعية في المعالجة، وأن يكون عادلًا وصادقًا، وأمينًا وحريصًا على أن ينقل للقراء خلاصة تجربته أو فكره من دون تحيّز أو ميل.

إنّ قراءة الأعمدة الصحفية ومتابعتها عن كثب تزيد من وعي القارئ، وتكشف له الكثير مما يحدث في مجتمعه، وتجعله على علم بمجريات الأمور، وتضعه أمام تنويعات من وجهات النظر والأفكار والتجارب.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

العربُ تسبَّبوا في غيابِ شَمْسِهم! *

فاطمة المزروعي

النّظرةُ لِما قدَّمَهُ العربُ للحضارةِ الإنسانيّةِ مِنْ علومٍ ومخترعاتٍ وَمُنجزاتٍ علميّةٍ، تنقسِمُ إلى فئتينِ: الفئةُ الأولى تؤمِنُ أنَّ الحضارةَ العربيّةَ أسهمَتْ بشكلٍ فعّالٍ في الرّقيّ بالحضارةِ الإنسانيّةِ، وكانَ للعلماءِ العربِ الدّورُ الأكبرُ في تأسيسِ مختلفِ العلومِ، والفئةُ الأُخرى تنكرُ هذا الفضلَ، وتدَّعي أنَّ كلَّ ما قامَ بِهِ العربُ هوَ نقلُ العلومِ مِنَ الحضارةِ الإغريقيّةِ إلى الشّرقِ، مثلَ ما جاءَ بِهِ مؤلِّفُ كِتابِ «أثر العِلْمِ على المجتمع» (برتراند راسل) الّذي يقولُ: «العربُ رغبوا في اكتشافِ حَجرِ الفلاسفةِ وإكسيرِ الحياةِ، وفي معرفةِ كيفيّةِ تحويلِ المعادنِ الرّخيصةِ إلى ذهبٍ، وفي أثناءِ تَتبُّعِهم للبحوثِ وراءَ هذِهِ الأهدافِ اكتشفوا العديدَ من حقائقِ الكيمياءِ، لكنَّهُم لم يتوصّلوا إلى أيّةِ قوانينَ طبيعيّةٍ مُهمّةٍ وَمُثبتةٍ، كما بقيَتْ تِقنياتُهم بدائيةً».

(راسل) توجّهَ في حديثِهِ نحوَ الكيمياءِ خصوصًا، ولمْ يذكُرْ أثرَ العُلماءِ العَربِ أو المُسلمينَ في الطِّبِّ أو الفيزياءِ أو الجبْرِ، ورغمَ ذلكَ فإنّ العربَ في مجالِ الكيمياءِ لمْ يَكُنْ شأنُهُم قليلًا، بلْ أسَّسوا الكيمياءَ، ووضعوا القوانينَ الطبيعيّةَ المهمّةَ لهذا العلمِ، فعلى سبيلِ المثالِ العالِمُ العربيُّ جابرُ بنُ حيّانَ يُعتبَرُ هوَ مَنْ نقلَ الكيمياءَ مِنْ كونِها مُجرّدَ سِحْرٍ وشعوذةٍ، أوْ صناعاتٍ بسيطةٍ كالصّباغةِ والعطورِ والتّحنيطِ إلى علمٍ عميقٍ يدخلُ في جوفِ الأرضِ، ويصلُ إلى عنانِ السّماءِ، ليدرسَ أعماقَ المادّةِ وَمُكوِّناتِها.

قرأَ جابرٌ المؤلّفاتِ اليونانيّةَ في الكيمياءِ، ودرسَها، ولكنّهُ لمْ يَكُنْ مُجرَّدَ ناقِلٍ لهذِهِ المؤلّفاتِ، بلْ عدّلَ، وقامَ بتصحيحِ كثيرٍ مِنَ النّظريّاتِ الخَطأِ، فقد قالَ: إنّ الفلزّاتِ تتكوّنُ عن طريقِ تفاعلِ عنصرِ الكبريتِ معَ الزئبقِ، وفسّرَ اختلافَ الفلزّاتِ بتبايُنِ نسبةِ الكبريتِ في كُلِّ فلزٍّ، إذْ وضعَ هذِهِ النّظريّةَ رغبةً في تصحيحِ ما جاءَ في أحدِ مؤلّفاتِ أرسطو حَوْلَ تكوّنِ الفلزّاتِ.

تُرجِمَتْ كتبُ جابرِ بنِ حيّانَ إلى اللّاتينيةِ، وبقيَتْ المرجعَ والمنهجَ الأوّلَ للكيمياءِ ما يقاربُ ألفَ عامٍ، ودرسَها مجموعةٌ من الكيميائيّينَ العِظامِ الّذين قد تجدُ أسماءَهُمْ في مناهجِ مدارسِنا، رغمَ أنَّهُم تلاميذُ لعالِمٍ عَربيٍّ، أمثالُ (هولميارد وكراوس) و(سارتون)

* جريدة الرؤية: 3 ديسمبر 2012.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الّـذي تحـدّثَ عـن جابـرٍ قائـلًا: «مِـنَ المُذهـلِ أنّ الكُتُـبَ الّتـي ألّفَهـا جابـرٌ لا يُمكِـنُ أنْ تكـونَ مِـنْ وَضْـعِ رَجُـلٍ عـاشَ فـي القَـرنِ الثّانـي للّهجـرةِ، لكثرتِهـا ووفـرةِ مـا بهـا مِـنْ معلومـاتٍ!»، إذًا هـلْ يُمكِـنُ أنْ تكـونَ التّقنيّـاتُ الّتـي استخدمَها جابـرُ بـنُ حيّـانَ وغيـرُهُ مـنَ العُلمـاءِ العـربِ والمُسـلمينَ تقنيـاتٍ بسـيطةً؟ أوْ هـلْ يُرضـي العقـلَ والمنطـقَ أنّهُـم خـلالَ أبحاثِهـم الطّويلـةِ فـي شَـتّى العلـومِ لـم يتوصّلـوا إلـى حقائـقَ ونظريـاتٍ علميّـةٍ مُثبتـةٍ؟! هـذِهِ النّقطـةُ تحدّثَـتْ عنهـا الدّكتـورةُ (زيغريـد هونكـه) فـي كتابِهـا «شـمسُ العـربِ تسـطعُ علـى الغربِ«عندَمـا قالَـتْ: «إنّنـا نقـرأُ 98٪ مـن الكُتُبِ ولا نجـدُ فيهـا إشـارةً إلـى فضـلِ العـربِ، ومـا أسـدوهُ إلينـا مِـنْ عِلْـمٍ ومعرفـةٍ، إلّا تِلـكَ الإشـارةَ العابـرةَ إلـى أنّ دَوْرَ العُلمـاءِ العـربِ لا يتعـدّى دورَ سـاعي البريـدِ الّـذي نقـلَ إليهِمُ التُّـراثَ اليونانيَّ. العـربُ ظلّـوا طـوالَ ثمانيـةِ قُـرونٍ يُشِـعّونَ علـى العالَـمِ عِلْمًـا وفنًـا وأدبًـا وحضـارةً، كمـا أخـذوا بيـدِ أوروبّـا، ونشـروا لـواءَ المدنيّـةِ، ثُـمَّ تُنكِـرُ أوروبّـا علـى العـربِ الاعتـرافَ بهـذا الفضـلِ!».

ورغـمَ أنّ (زيغريـد) ألمانيّـةُ الأصـلِ والمنشـأِ، فـإنَّ كتابَهـا وَجّـهَ نقـدًا لاذعًـا لأوروبّـا، عارضـةً الحقائـقَ حَـوْلَ تاريخِنـا المجيـدِ وأثـرِهِ علـى العالَـمِ أجمعِـهِ، ولكنّنـي لا أدري كيـفَ سـتكونُ ردّةُ فِعْلِهـا إذا مـا رأتْ أنّ العـربَ أنفسَـهم يُنكـرونَ فضـلَ عُلمائِهـم، وَيتجاهلونَهُـم، وَيُهمِّشـونَ حضارتَهُـم مَفتونيـنَ بالثّقافـةِ الغربيّـةِ، لا أكثـرَ! رُبّمـا تُؤلِّـفُ كتابًـا آخـرَ بعنـوانِ «العـربُ تسـبّبوا فـي غيـابِ شمسِـهم».

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

السّعادةُ لا تضلُّ طريقَها *

ناصر الظّاهري

كـمْ صادفْنـا السَّـعادةَ، ولـمْ ننتبِـهْ! كـمْ تعثَّرْنـا بهـا فـي طريقِنـا، ولـمْ نتوقّـفْ! كـمْ تبعَـتْ ظِلَّنـا، ولـمْ نلتفِـتْ خلفَنـا! كـمْ أخذَتْنـا مـن أيدينـا فـي ظُلمـاتِ الطُّرقـاتِ، واللّيـلُ غيـرُ صديـقٍ، لكنَّنـا هرَبْنـا منهـا، خِفْنـا منهـا أوْ سـاقَتْنا أقدامُنـا لمناطـقِ العتمـةِ، ولـمْ نحفـلْ بهـا! السّـعادةُ كنهـرٍ جـارٍ، لا يسـوقُ لجيرانِـهِ إلّا الخيـرَ، ولا تعـرفُ البيـوتُ المُحاذيـةُ لَـهُ الأذى، والسّـعادةُ قـد تأتـي كمطـرٍ مُنهمـرٍ، يوقِـظُ كُلَّ الأشـياءِ باتجـاهِ الفـرحِ والحيـاةِ، وفجـأةً يحـوِّلُ الأمـورَ إلـى غمـرةٍ مِـنْ نـورٍ وسـرورٍ وحبـورٍ.

السّـعادةُ يمكـنُ أنْ تجدَهـا فـي زاويـةٍ صغيـرةٍ تحـتَ قَدَمـي عجـوزٍ، تتأبّـطُ الوقـتَ، وخريـفَ العُمـرِ، ولا تريـدُ أنْ تسـومَ الوجـهَ أوْ تُسـاوِمَ الأيّـامَ المُتبقيـةَ مِـنْ حياتِهـا، غيـرَ أنّ الجـوعَ قاتـلٌ، وَخُلـوّ الزّمـنِ مِـنَ الأوفيـاءِ والأبـرارِ والأبنـاءِ، يجعلُهـا تمـدُّ يدَهـا لَـكَ، وهـيَ فـي حقيقـةِ الأمـرِ تمـدُّ السّـعادةَ، فـلا تجعـلْ قلبَـكَ يُخطِئُهـا، ولا بصيرَتَـكَ تفقدُهـا.

السّـعادةُ أحيانًـا، تطـرقُ بـابَ بيتِـكَ، لكنّـكَ توصِـدُ البـابَ فـي وجهِهـا، رغـمَ أنّهـا تحمـلُ لـكَ كُلَّ الخيـرِ، مـا ضـرّكَ لَـوْ تركْـتَ القطّـةَ تدخـلُ، أوْ ذاكَ الشّـحّاذُ لَـمْ ينهـزمْ بخجلِـهِ وحاجتِـهِ، مـاذا لَـوْ أخرجْـتَ مِـنْ بـابِ بيتِـكَ لأبـوابِ بيـوتِ الجيـرانِ خيـرًا كثيـرًا، مـا ضـرّكَ لَـوْ تركْـتَ بابَـكَ مُشـرعًا فـي وجـوهِ خَلْـقِ اللّـهِ، فربّمـا حمـلَ لـكَ الكثيـرُ مِنْهُـم بسـمةً أوْ رِضًـا أوْ أزاحَ مِـنْ طريقِـكَ هَمًّـا أوْ عثـرةً، لِـمَ منعْـتَ السّـعادةَ مـن الدّخـولِ لقلبِـكَ أولًا، ولبيتِـكَ ثانيًـا؟

السّـعادةُ قـد تَختبـئُ فـي ضِحكـةِ طفـلٍ أوْ خلـفَ زغزغـةِ خواصـرِ صبيّـةٍ لِتبتسِـمَ عَـنْ أسـنانٍ لبنيّـةٍ، وقـد تركـبُ جنـاحَ رسـالةٍ ضلّـتْ طريقَهـا، وتَعَثّـرَ بريدُهـا، لتأتيـكَ بِرُعـافِ الحبـرِ، وزهـوِ القلـمِ حيـنَ يكتـبُ مـا يسـطرون، تصلُـكَ، وفجـأةً كلُّ عصافيـرِ القلـبِ تُرفرفُ، مُظلِّلَـةً رأسَـكَ بـرذاذٍ مِـنْ مـاءْ البـردِ، مـا الضّيـرُ إن اعتـذرْتَ، لِمَـنْ وفيمـا أخطـأْتَ، وجعلْـتَ السّـعادةَ تُسـابِقُ خُطـاكَ، تريـدُ أنْ تطبـعَ قُبْلـةً علـى رأسٍ انحنـى بكبريـاءٍ، وجعـلَ رائحـةَ مِسْـكِ الرِّضـا تعبـقُ فـي الأرجـاءِ، ومنـعَ الشّـمسَ عـنِ الشّـيطانِ.

---

*) جريدة الاتحاد، 20 يناير 2016.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الأُمُّ إنْ ضَحِكَتْ، كانَتْ سعادةُ القلبِ، والأُخْتُ إنْ فَرِحَتْ، كانَتْ سعادةُ القلبِ، وحسُّ البيتِ الكبيرِ بالجدِّ الغائبِ والأبِ الّذي تفتقِدُ، إنْ بقيَ حيًّا بِذكرِهما، وَمشيدًا بعزِّهِما، كانَتْ سعادةُ القلبِ.

أَنْ تدخُلَ موطِنَكَ، أوْ تسيرَ لمدينتِكَ، تلكَ سعادةٌ تجلو القلبَ، ولا تجعلُهُ في مكانِهِ، ثمّةَ أجنحةٌ كثيرةٌ تدعوكَ للتّحليقِ في فَضاءٍ تشعرُ أنّهُ لا يتّسِعُ لكَ وحدَكَ، تريدُ كُلُّ الموجوداتِ أنْ تطيرَ معَكَ، فَهُناكَ نبعٌ عذْبٌ يُسَمّى السّعادةَ، وَهُناكَ حقولٌ خضراءُ لا يحدُّها البَصرُ، هي السّعادةُ.. فلا تُغْمِضْ عَيْنَيْكَ!

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

رسالةٌ ساميةٌ *

مريم مسعود الشّحي

في الثّاني عَشَرَ مِنْ مايو مِنْ كُلِّ عامٍ يحتفي العالَمُ بيومِ التّمريضِ العالميِّ، اليومِ الّذي يُخَصَّصُ للإشادةِ بهذهِ الفئةِ المعطاءةِ من النّاسِ، فالتّمريضُ ليسَ مهنةً بحدِّ ذاتِها، أيْ ليسَ مهنةً لكسبِ العيشِ فقطْ كالمِهَنِ الّتي تُغادِرُ بيتَكَ مِنْ أجلِها في الصّباحِ الباكرِ، وتعودُ إليهِ إمّا مساءً أوْ عصرًا، وتكونُ قد أنجزْتَ ما فاتَكَ من أوراقٍ وَمُعاملاتٍ رُبّما تكونُ تراكمَتْ على مكتبِكَ، لا، بلِ التّمريضُ هو ذاكَ الفعلُ الإنسانيُّ اليوميُّ المُنقسِمُ بينَ جمادٍ وَبَشَرٍ، جمادٍ مُتمثِّلٍ بالأوراقِ والفحوصاتِ وإحصائيّاتِ التّغييرِ في جَسدِ كُلِّ مَريضٍ، وإنسانيٍّ بينَ آهاتٍ بشريّةٍ وأوجاعٍ تأخذُ مِنْ روحِ المُمَرِّضِ وتفاعلِهِ ما تأخذُ.

كثيرٌ مِنّا، وكثيرٌ في مُجتمعِنا لا يعونَ ماهيةَ تلكَ المهنةِ السّاميةِ بحقٍّ، أوْ بشكلِها الحقيقيِّ المُنقسِمِ كما أسلفْتُ بينَ حيٍّ وميتٍ، بينَ البَشَرِ والأوراقِ، فبعضُهُم يدّعونَ بأنّ التّمريضَ مِهنةٌ سهلةٌ تنصبُّ فقطْ في خدمةِ المريضِ وأهلِهِ، تلكَ الصّورةُ البائسةُ الّتي تُقَلِّلُ من شأنِ التّمريضِ، وتُحجّمُهُ داخلَ إطارِ الخدمةِ فقطْ دفعَت الكثيرَ من أبناءِ الوطنِ للتّخلّي عنها أوْ عدمِ الاتّجاهِ نحوَها من البدءِ.

فالتّمريضُ في الدّولةِ مهنةٌ تفتقرُ إلى الكادرِ المحلّيِّ والمواطنِ بشكلٍ كبيرٍ، فنسبةُ المواطنينَ في هذهِ المهنةِ لا تتعدّى الخمسةَ في المئةِ من العاملينَ بها، وعزوفُ المواطنِ عن دراسةِ التّمريضِ، ومنْ ثَمَّ العملُ بهِ لَهُ أسبابٌ كثيرةٌ، منها كما أوضحْتُ سابقًا النّظرةُ الدّونيّةُ الّتي يقعُ على عاتقِ المجتمعِ تغييرُها، وَمِنْ ثَمَّ ربّما الجزءُ الآخَرُ المُتعلِّقُ بالجانبِ الماديِّ الّذي لا يوازي الجهدَ المبذولَ في نَظَرِ بعضِهِم، فيهربُ الكثيرُ نحوَ المهامِّ الإداريّةِ؛ لأنّها أقلُّ جهدًا، وأكثرُ مادةً.

---

*) جريدة الاتحاد، 20 يناير 2016.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

النّصوصُ المعلوماتيّةُ

النّصوصُ المعلوماتيّةُ

تُعَـدُّ معرفـة نـوع النـص المقـروء مـن أهـم الإسـتراتيجيات الّتـي تسـاعد القـارئ علـى فهـم النصـوص، والتنبّـه إلـى النقـاط الجوهريـة فيهـا، والتعمـق فـي أفكارهـا ومضامينهـا؛ فقـراءة قصيـدة مـن الشِّـعر تختلـف عـن قـراءة قصـة، وهـذه تختلـف عـن قـراءة نـص معلوماتـي، فلـكل نـوع مـن النصـوص الطريقـة الّتـي تناسـبه، وتناسـب الغايـات الّتـي مـن أجلهـا كُتِـبَ، وبسـببها يقرؤهـا القراء.

ويعـد النـص المعلوماتـي مـن أكثـر النصـوص انتشـارًا وتنوّعًـا فـي عصرنـا الحاضـر، ومعظـم النـاس يعتمـدون عليـه فـي حياتهـم اليوميـة فـي أبسـط الأمـور وأكثرهـا تعقيـدًا؛ فعلـى سـبيل المثـال لا الحصـر، كلنـا نحتـاج أن نعـرف حالـة الطقـس، أو مواعيـد الصـلاة، أو مواعيـد الرحـلات فـي المطـارات للمسـافرين، أو موقـع مؤسسـة مـا نـود أن نزورهـا، فمثـل هـذه الجـداول والخرائـط تسـمى نصوصًـا معلوماتيـة، فمـا النـص المعلوماتـي؟ ومـا الفـرق بينـه وبيـن سـائر النصـوص؟

النـص المعلوماتـي: هـو أي نـصٍّ هدفـه أن يُقـدّم معلومـات للقـارئ بطريقـة مباشـرة وواضحـة، تتصـف بالدقـة، وتعتمـد علـى الأدلـة العلميـة والحقائـق. ولأن هـدف النـص المعلوماتـي هـو تقديم المعلومـات فإنـك سـتجده فـي مجـالات العلـوم والفنـون كلّهـا، كالفيزيـاء، والكيميـاء، والطـب، والرياضـة، والصحـة، والبيئـة، والجغرافيـا، والتاريـخ، واللغـة، والرسـم، وتطويـر الـذات، وغيرها.

وأكثـر مـا تجـد النصـوص المعلوماتيـة فـي المعاجـم، والموسـوعات، والأطالـس، وكتـب التعليـم، والكتـب المدرسـية علـى اختلافهـا، والخرائـط، والمقـالات العلميـة الّتـي تنشـر فـي المجـلات، كمـا نـرى فـي مجلـة (ناشـيونال جيوغرافيـك) علـى سـبيل المثـال.

وأهـم مـا يميّـز النصـوص المعلوماتيـة اعتمادهـا علـى الحقائـق والأرقـام، ونتائـج الدراسـات العلميـة، ولذلـك يعتمـد تقييـم النـص المعلوماتـي علـى الصحـة والدقـة فـي نقـل المعلومـات، والتوثيـق العلمـي الّـذي يحيـل إلـى المصـادر، وعلـى الجِـدّة والتحديـث، فـلا ينقـل النـص نتائـج دراسـات قديمـة، ويتـرك الحديثـة منهـا.

ولكتابـة النصـوص المعلوماتيـة أصـول وطـرق معتمـدة، فـلا يجـوز للكاتـب أن يتصـدى لكتابـة نـص معلوماتـي مـن دون أن يلتـزم بهـذه الأصـول التزامًـا تامًّـا. وقـد تطـوّرت طـرق كتابـة النصوص

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

المعلوماتية في العصر الحديث، وصار المؤلفون يعتمدون على وسائل كثيرة تساعد القارئ على فهم المعلومات، وتنظيمها، وحفظها، وتذكرها، كالجداول، والقوائم، والأشكال والرسومات التوضيحية، والصور.

إنّ قراءة النصوص المعلوماتية تتطلب من القارئ الانتباه، والتدقيق، وإعادة تنظيم المعلومات بما يناسب أغراضه الخاصة، وهي من أكثر المهارات أهمية للطلاب، خاصة في المرحلة الجامعية.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

رؤيةٌ مُستقبليّةٌ للقِطاعِ السّياحيِّ *
جريدة الاتّحاد

تَعـي القيـادةُ الرّشـيدةُ لدولـةِ الإمـاراتِ العربيّـةِ المُتّحـدةِ مـدى أهميّـةِ وأولويّـةِ تطويـرِ وتنشيطِ القطاعِ السّياحيِّ، خصوصًا أنّ الدّولـةَ تمتلكُ مقوّماتٍ ضخمـةً، تؤهِّلُها لتكـونَ إحدى أبـرزِ وجهـاتِ السّياحةِ فـي العالَـمِ أجمعِهِ، ومـنْ أبرزِهـا الموقـعُ الجغرافيُّ المُميّـزُ الّـذي حباهـا اللّـهُ بِـهِ، والبِنـى التّحتيّـةُ الحديثـةُ الصّلبـةُ، فضـلًا عـن الأمـنِ والاسـتقرارِ الّـذي يُعَـدُّ أحـدَ أبـرزِ عوامـلِ الجـذبِ للسّـيّاحِ، لاسـيّما وسـطَ موجـةِ الإرهـابِ والتّطـرّفِ الّتـي تعصـفُ بالعديـدِ مِـنْ مناطـقِ الإقليـمِ والعالَـمِ.

وَيُعتبـرُ قِطـاعُ السّـياحةِ أحـدَ أبـرزِ القِطاعـاتِ الدّاعمـةِ للاقتصـادِ الوطنـيِّ القائـمِ علـى سياسـاتِ التّنويـعِ الاقتصاديِّ الّتي اعتمدَتْها الدّولـةُ منـذُ أوائلِ ثمانينيّـاتِ القـرنِ الماضـي، ووضـعَ أُسسَـها الوالِـدُ القائـدُ -المغفـورُ لَـهُ بـإذنِ اللّـهِ- الشّـيخُ زايـدُ بـنُ سـلطانَ آلِ نهيّـانَ -رحمـه اللّـه، ويواصِـلُ تعزيزَهـا وتطويرَهـا اليـومَ صاحِـبُ السّـموِّ الشّـيخُ خليفـةُ بـنُ زايـدٍ آلِ نهيّانَ-حفظه اللّـه- مـا مكّـنَ الدّولـةَ مِـنْ قَطْـعِ شَـوْطٍ كبيـرٍ فـي مسـيرتِها التّنمويّـةِ الماضيةِ نحـوَ بِنـاءِ اقتصـادٍ قائـمٍ علـى المعرفـةِ، وقـادرٍ علـى الاسـتدامةِ، وَمُتسـلّحٍ بـأدواتِ الإبـداعِ والابتـكارِ.

وقـد ازدهـرَ قِطـاعُ السّـياحةِ الإماراتـيُّ بشـكلٍ لافـتٍ للنّظَـرِ فـي السّـنواتِ الأخيـرةِ، بشـهادةِ العديـدِ مـنَ المحافـلِ والمؤشّـراتِ العالميّـةِ، وذلـكَ بفضـلِ رؤى وتوجيهـاتِ القيـادةِ الرّشـيدةِ، وعلـى رأسِـها صاحـبُ السّـموِّ الشّـيخُ خليفـةُ بـنُ زايـدٍ آلِ نهيّـانَ حفظه الله، حتّـى باتَـتِ الإمـاراتُ تحظى بموقـعٍ مُتميّزٍ على خريطـةِ السّـياحةِ العالميّـةِ، بَلَغَتْـهُ الدّولـةُ كثمـرةِ جهـودٍ حثيثـةٍ، واسـتثماراتٍ سـخيّةٍ بَذَلَتْهـا مـن أجـلِ تطويـرِ قِطاعِهـا السّـياحيِّ.

وَضِمْـنَ هـذا الإطـارِ، جـاءَتْ توقّعـاتُ «مجلـسِ السّـياحةِ والسَّـفَرِ العالمـيِّ» مؤخَّـرًا، والّتـي أكّـدَتْ أنّ عائـداتِ قِطـاعِ السّـياحةِ فـي الإمـاراتِ سـتصلُ إلـى نحـوِ 128.3 مليـارِ درهـمٍ

*) جريدة الاتحاد، الإمارات اليوم، عن نشرة «أخبار السّاعة» الصادرة عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 01 أبريل 2016.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

خلالَ العامِ الجاري، بنموٍّ قَدْرُهُ 3.55٪ مُقارنةً معَ 123.9 مليارَ درهمٍ في عامِ 2015، لتصلَ عائداتُ القِطاعِ السّياحيِّ إلى 213.4 مليارَ درهمٍ بحلولِ عامِ 2026.

كما أشارَتِ البياناتُ الاقتصاديّةُ للمجلسِ إلى أنّ الإماراتِ تَصدَّرَتْ دولَ منطقةِ الشّرقِ الأوسطِ مِنْ حيثُ إنفاقُ السّيّاحِ الدّوليّينَ لأغراضِ التّرفيهِ والأعمالِ في الدّولةِ خلالَ عامِ 2015 بنحوِ 95.5 مليارَ درهمٍ (26 مليارَ دولارٍ)، لتحصلَ على المركزِ الأوّلِ عربيًّا، والثّاني عشرَ عالميًّا، مُتخطيةً متوسّطَ الإنفاقِ العالميّ الّذي يبلغُ 26 مليارَ درهمٍ (7.1 مليارَ دولارٍ).

ووفقًا للمُعطياتِ الّتي تشيرُ إليها التّقاريرُ والإحصاءاتُ المحليّةُ والدّوليّةُ، فإنّ فُرَصَ دولةِ الإماراتِ العربيّةِ المُتّحدةِ في تحقيقِ التّنميةِ المُستدامةِ، مِنْ خلالِ الاستفادةِ القُصوى مِنْ قِطاعِها السّياحيِّ المُتطوّرِ، تتزايدُ يومًا بعدَ آخرَ، لاسيّما أنّها تمتلِكُ العديدَ منَ المُقوّماتِ الّتي تؤهّلُها لذلكَ، وَتُساعدُها على جذبِ السّيّاحِ، وتوفيرِ البيئةِ الفُضلى للاستثماراتِ في مجالِ المشروعاتِ السّياحيّةِ.

ولعلَّ مِنْ أبرزِ تلكَ المُقوّماتِ تمتُّعَها ببنيةٍ تحتيّةٍ مُتطوّرةٍ مُتمثّلةٍ في شبكةِ الطُّرقِ والنّقلِ والمواصلاتِ، ومجموعةٍ فاخرةٍ منَ الفنادقِ والمطاعمِ العالميّةِ، فضلًا عن وجودِ قائمةٍ من المشروعاتِ السّياحيّةِ التّرفيهيّةِ الكُبرى والمُتميّزةِ. ولا يُمكِنُ إغفالُ ما تتمتّعُ بِهِ دولتُنا الحبيبةُ من استقرارٍ اقتصاديٍّ وَسياسيٍّ يخلقُ بيئةً منَ الأمنِ والاستقرارِ، ونظامٍ قائمٍ على تطبيقِ القانونِ، واحترامِ حُريّةِ الفردِ في الوقتِ ذاتِهِ. كما أنّ وجودَ قِطاعٍ صحيٍّ مُتطوّرٍ يُطَبِّقُ المعاييرَ الدّوليّةَ، يزيدُ مِنْ فُرصَةِ اجتذابِ السّيّاحِ الهادفينَ إلى السّياحةِ العلاجيّةِ. هذا كُلُّهُ إلى جانبِ ما يتميّزُ بِهِ الشّعبُ الإماراتيُّ مِنْ خِصالٍ وقيمٍ أصيلةٍ في حُسنِ استقبالِ ضيوفِ الوطنِ، وَمُعاملتِهِم.

إنّ النّموَّ المُتوقّعَ أنْ يُحرزَهُ القِطاعُ السّياحيُّ الإماراتيُّ، وفقَ رؤى «مجلسِ السّياحةِ والسّفرِ العالميِّ» سيكونُ كفيلًا بمنحِ هذا القِطاعِ أحدَ المراكزِ القياديّةِ في الاقتصادِ الوطنيِّ طوالَ العقدِ الجاري، وحتّى نهايةِ الأُفقِ الزّمنيِّ للرّؤيةِ المُستقبليّةِ لدولةِ الإماراتِ العربيّةِ المُتّحدةِ «رؤيةُ الإماراتِ 2021»، لاسيّما أنّ الدّولةَ تتبنّى سياساتِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تنويعِ الدّخلِ والاقتصادِ المُستدامِ القائمِ على المعرفةِ، وَخَلْقِ قِطاعاتٍ غيرِ نفطيّةٍ، كخطوةٍ استباقيّةٍ، وفّرَت لها الحمايةَ مِنْ تقلُّباتِ وَتوتُّراتِ الأوضاعِ الاقتصاديّةِ العالميّةِ.

ولم تضعِ الدّولةُ سَقْفًا لطموحاتِها المُرتقبةِ والمُتوقّعةِ مِنْ هذا القِطاعِ الثّريِّ الّذي باتَ مِنْ أكبرِ القِطاعاتِ غيرِ النّفطيّةِ الّتي يُمكِنُ الاعتمادُ عليها في السّنواتِ القادمةِ، فمازالَ لدى الإماراتِ الكثيرُ منَ الأفكارِ والرّؤى الاستشرافيّةِ والإنجازاتِ الّتي ستبهرُ بها العالَمَ في هذا القِطاعِ الحيويّ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قِطارُ المستقبلِ من أبوظبي إلى لندن *

د. إبراهيم الدرمكي

الدكتور إبراهيم الدرمكي
باحث وأكاديمي،
رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإماراتية في كليات التقنية العليا بأبوظبي

تَخيّلْ لَوْ أَنَّ قِطارًا ينطلقُ مِنْ أبو ظبي مِنْ دونِ ضجّةٍ، ولا خَضّاتٍ، يقطعُ صحراءَ الرُّبعِ الخالي، مرورًا بسلسلةٍ مِنَ السِّككِ الحديديّةِ الدّوليّةِ، تشقُّ باديةَ الأُردنِّ وَريفَ الشّامِ وّهِضابَ تُركيّا، وَمِنْ نَفَقِ البوسفورِ الّذي يربطُ مدينةَ مُحمّدِ الفاتحِ بِشقّيها الآسيويِّ والأوروبيِّ إلى باريسَ، عبرَ قِطارِ «اليورو ستار»، وصولًا إلى لندنَ.

ها أنتَ ترى الأنهارَ والجبالَ، وحقولَ الزّهورِ، ومروجَ الأعشابِ، تَتَأَمّلُ في مناظرِ القُرى والبلداتِ، وكأنّ أجملَ تلكَ البلدانِ تمتدُّ أمامَكَ في «ألبومٍ» جغرافيٍّ، تقومُ بِتَصفُّحِهِ دونَ عناءٍ.

أمّا متى ذلكَ اليومُ؟ فلا أحدَ يعلمُ، لكنْ توجدُ مُقترحاتٌ لمشاريعِ نقلٍ عملاقةٍ، لا تهدفُ فقطْ لربطِ الدّولِ ببعضِها، وإنّما لربطِ القارّاتِ، كمشروعِ قطارِ اليمنِ وجيبوتي فوقَ جسرٍ بطولِ 29 كيلومترًا عبرَ مضيقِ بابِ المندبِ، يربطُ آسيا بأفريقيا. وهناكَ أفكارٌ أوّليّةٌ عن حفرِ نَفَقٍ أسفلَ مضيقِ جبلِ طارقٍ، بينَ المغربِ وإسبانيا، يربطُ أفريقيا بأوروبا. وفي طفرةٍ غيرِ مسبوقةٍ، ترصدُ دولُ مجلسِ التّعاونِ رُبْعَ قيمةِ مشاريعِها الاقتصاديّةِ في مشاريعِ القِطاراتِ، وَرُبّما يعودُ ذلك لافتقارِ دولِ المجلسِ إلى خدماتِ النّقلِ بالقطاراتِ، والسّعوديّةُ – فقط– لديها مسارٌ للخطوطِ الرّئيسةِ من السّككِ الحديديّةِ، أحدثُها الخطُّ الحديديُّ الّذي يربطُ شمالَ ووسطَ البلادِ بميناءي رأسِ الخيرِ وَجبيلٍ على ساحلِ الخليجِ العربيِّ، إضافةً إلى الإماراتِ في دُبيٍّ كأوّلِ مدينةٍ في دولِ مجلسِ التّعاونِ الخليجيِّ في شبكةِ «المترو».

لدى الإماراتِ أيضًا مشروعُ قِطارِ الاتّحادِ الّذي يُشَكّلُ واحدًا من خططِ السِّكَكِ الأكثرِ طموحًا في المنطقةِ. والمشروعُ جُزءٌ مِنَ الخطّةِ الأوّليّةِ لتطويرِ خطٍّ على طولِ ساحلِ الخليجِ العربيِّ، والّذي سيربطُ كُلَّ دولِ مجلسِ التّعاونِ الخليجيِّ السّتِّ مِنَ الكويتِ شمالًا، وحتّى صلالةَ في عُمانَ جنوبًا، معَ إمكانيّةِ تمديدِهِ إلى اليمنِ في المُستقبلِ.

---

*) جريدة الخليج، الخليج الاقتصادي، 20-11-2013.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وَمِنَ المؤكَّدِ أنّ صوتَ هذا القطارِ يحملُ معَهُ ولادةَ مُدنٍ وموانئَ، وَمُدنٍ صناعيّةٍ وتجاريّةٍ وترفيهيّةٍ كُبرى في الإقليمِ.

أكثرُ ما يشدُّ الانتباهَ مِنْ بينِ كُلِّ تفاصيلِ مشروعِ قِطارِ الاتّحادِ أنّ كُلَّ قِطارٍ لَهُ خمسونَ عَربةً، وسيكونُ بديلًا عن خمسينَ شاحنةٍ ثقيلةٍ، ممّا يُقلِّلُ انبعاثَ ثاني أكسيدِ الكربونِ في سماءِ الإماراتِ، وفي حالِ تَحقُّقِ توقّعاتِ حركةِ المرورِ للقطارِ، فإنّ الغازاتِ الدفيئةَ ستنخفضُ لأكثرَ مِنْ 2.2 مليونَ طنٍّ سنويًا، وهذا وحدَهُ يُعادِلُ وجودَ 375 ألفَ سيّارةٍ على الطّريقِ، أوْ ما يوازي زراعةَ 52 مليونَ شجرةٍ! وسينقلُ القِطارُ النّفاياتِ إلى مناطقِ مُعالجتِها، بعيدًا عن المُدنِ، لتحويلِها إلى مصدرٍ جديدٍ للطّاقةِ، فضلًا عن أنّ استخدامَ القطارِ سَيُخَفِّضُ مِنْ تكلفةِ الصّيانةِ السّنويّةِ للطُّرقِ، والمُقَدّرةُ بأكثرَ من 650 مليونَ درهمٍ في إمارةِ أبو ظبي وحدَها.

خَبرٌ سارٌّ آخرُ، وهو أنّ القِطارَ سَيُقلِّلُ مِنْ هفواتِ حوادثِ السّيرِ المُروّعةِ على الخطوطِ الطّويلةِ للسّيّاراتِ؛ لِتَمتُّعِ السِّككِ الحديديّةِ بدرجةٍ عاليةٍ من الأمانِ.

لكنْ، هَلْ بِناءُ خَطِّ سِكّةِ حديدٍ بطولِ 1200 كم عَبْرَ رِمالِ الصّحراءِ المُتحرّكةِ، وَرِمالِ السّبخاتِ سيتمُّ بلا تحدّياتٍ؟

مِنَ الأمورِ الحاسمةِ في نجاحِ المشروعِ، أَوْ تعثُّرِ أهدافِهِ مسألةُ اختيارِ أفضلِ التّكنولوجيّاتِ المُتاحةِ في هذِهِ الصّناعةِ، مِنْ مُعدّاتٍ، وَمُقاولينَ، وبيوتاتِ الخبرةِ.

والجانبُ المُزعِجُ لخطِّ القطارِ هو تجمّعُ الكُثبانِ الرّمليّةِ في مواسمِ هبوبِ الرّياحِ على قُضبانِ السِّكّةِ، ولعلَّ الوسيلةَ الأكثرَ كفاءةً للتّوصّلِ إلى حَلٍّ مُستدامٍ لهذا العائقِ هوَ زراعةُ النّباتاتِ الزّاحفةِ، والأعشابِ المحليّةِ على جانبي السّكّةِ لتثبيتِ الكُثبانِ الرّمليّةِ.

وَهُناكَ تقنيّاتٌ أُخرى مثلُ عملِ مساراتٍ أنبوبيّةٍ مِنَ الخرسانةِ للقِطارِ في المناطقِ الّتي تشتهرُ بحركةِ الرّمالِ.

جُزءٌ كبيرٌ مِنَ السّكّةِ سيمرُّ بمناطقِ السّبخاتِ السّاحليّةِ ذاتِ الطّبيعةِ العدوانيّةِ لقضبانِ الحديدِ، وهذِهِ المُسطّحاتُ الرّخوةُ تُمثِّلُ مُشكلةً أُخرى لوجودِ طبقاتٍ مِنَ (السّيليكا) والرّمالِ الكربونيّةِ النّاعمةِ الّتي تمتدُّ -أحيانًا- لعشرةِ أمتارٍ تحتَ قشرةِ السّطحِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وأيًّا كانَت التّحدّياتُ، فالجميلُ في قطارِ الاتّحادِ أنّهُ مازالَ مُكتظًّا بالكثيرِ من الإستراتيجيّاتِ والطّموحِ، فالمشروعُ عملاقٌ، ولَهُ ارتباطاتُهُ المحليّةُ والإقليميّةُ، وهو كفيلٌ بأنْ يُديرَ وجهَ المنطقةِ بِأسرِها نحوَ العالَمِ، ولا نستغربُ ذلكَ إذا عرَفْنا أنّهُ اختيرَ مِنْ بينِ مئةِ مشروعٍ ليكونَ «المشروعَ الإستراتيجيَّ الأوّلَ في العالَمِ لسنةِ 2013» في المُلتقى السّنويِّ السّادسِ لقادةِ قِطاعِ البِنى التّحتيّةِ العالميِّ الّذي أُقيمَ في «نيويورك» مؤخَّرًا.

تَمَّ تصميمُ المشروعِ على ثلاثِ مراحِلَ، تبدأُ الأولى بنقلِ 10 آلافِ طنٍّ مِنْ حُبيباتِ الكبريتِ يوميًّا مِنْ حَقلَي «شاه» و«حبشان» إلى ميناءِ «الرّويسِ»، وتمتدُّ المرحلةُ مِنَ الحدودِ معَ السّعوديّةِ في «الغويفاتِ»، على طولِ السّاحلِ إلى مشارفِ مدينةِ أبو ظبي، وَمِنْ هُناكَ يتفرّعُ خَطٌّ حديديٌّ آخرُ إلى «العَينِ» وإلى «عُمانَ»، معَ استمرارِ الخَطِّ الرّئيسيِّ على طولِ السّاحلِ باتّجاهِ دُبيّ، حيثُ يمرُّ بالقُربِ مِنْ ميناءِ «خليفةَ» وميناءِ «جَبلِ عليٍّ»، ويستمرُّ إلى الشّارقةِ، ليتفرّعَ مرّةً أُخرى إلى فرعينِ، أحدُهُما إلى رأسِ الخيمةِ، حيثُ ميناءُ «صقرٍ»، والآخرُ عبرَ جِبالِ الحجرِ إلى الفجيرةِ، وبانتهاءِ تلكَ المراحلِ عامَ 2018 سيتمكّنُ الكثيرونَ من الانتقالِ بينَ مُختلفِ مناطقِ الدّولةِ، وإلى دولٍ أُخرى هي أبعدُ مِنْ نطاقِ دولِ مجلسِ التّعاونِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مَملكةُ الفِطريّاتِ

مُنذُ نشأةِ الكَوْنِ، ظهرَتْ مَمالِكُ، وازدهرَتْ، وزالَتْ مَمالِكُ، واندثرَتْ، إلّا أَنَّ هُناكَ مملكةً فريدةً مِنْ نوعِها، ظهرَتْ مَعَ بدايةِ الحياةِ على الأرضِ، واستمرَّتْ باقيةً حتّى الآنَ، غيرَ مُعترفةٍ بحدودٍ سياسيّةٍ، ولا بعوائقَ جغرافيّةٍ، فاستعمرَ أفرادُ هذِهِ المملكةِ الأرضَ وباطنَها، ومياهَ الأنهارِ والبحارِ والمُحيطاتِ، حتّى نسماتُ الهواءِ حملَتْ أنواعًا منها، وهذِهِ المملكةُ هي مملكةُ الفطريّاتِ، فما هيَ الفطريّاتُ؟

إنّها كائناتٌ حيّةٌ ذاتُ نواةٍ حقيقيّةٍ مُحاطَةٍ بغشاءٍ نوويٍّ، ولا تحتوي الفطريّاتُ على «كلوروفيل»، تلكَ الصّبغةُ السِّحريّةُ الّتي تُساعدُ النّباتَ على توليدِ طاقةٍ حيويّةٍ مِنَ الضّوءِ، تستخدمُها في تكوينِ موادَّ «كربوهيدراتيّةٍ» مِنَ الماءِ وغازِ ثاني أكسيدِ الكربونِ الجويِّ. فالنّباتاتُ تستطيعُ الاعتمادَ على نفسِها في تكوينِ غذائِها، فهي ذاتيّةُ التّغذيةِ، أمّا الفطريّاتُ فهي تعتمدُ على غيرِها في الحصولِ على غذائِها، أَيْ أنّها غيرُ ذاتيّةِ التّغذيةِ.

وَيَتركّبُ جسمُ الفِطْرِ مِنْ خيوطٍ مُتفرّعةٍ، تُعرَفُ بـ «الهيفات»، وتنمو «الهيفات» مُتشابِكَةً، وَمُكوِّنةً غَزْلًا فِطريًّا يُعرَفُ بـ «الميسليوم»، إلّا أنّ هُناكَ أنواعًا مِنَ الفطريّاتِ لا تُكَوِّنُ خيوطًا، ولكنّها تنمو مُتبرعمةً مثلَ فطرِ الخميرةِ، وقد يستمرُّ تبرعمُ الخلايا دونَ انفصالِها، مُكوِّنةً سلسلةً مِنَ الخلايا المُتبرعمةِ الّتي تشبهُ السُّبْحَةَ في شكلِها.

وبعضُ هذِهِ الفطريّاتِ صغيرُ الحجمِ، لا يُرى بالعينِ المُجرّدةِ، وبعضُها كبيرٌ، والفطريّاتُ الكبيرةُ معروفةٌ للإنسانِ منذُ بدايةِ وجودِهِ على الأرضِ، وهي تُعرَفُ -عمومًا- باسمِ «عيش الغراب»، وهيَ أرقى أنواعِ الفطريّاتِ، والمَلِكُ المتوّجُ على عرشِ هذِهِ المملكةِ.

وَيُصنّفُ أكبرُ كائنٍ حَيٍّ على وجهِ الأرضِ بأنّهُ مِنْ مملكةِ الفطريّاتِ، وهو ما يُعرَفُ اليومَ باسمِ «عيش غراب العسل» الّذي اكتشفَهُ العُلماءُ ناميًا تحتَ تُربَةِ الغابةِ القوميّةِ بالقُربِ مِنْ ولايةِ «أريجون» الأمريكيّةِ، فقد وجدوا خيوطَ هذا الفِطْرِ ناميةً بغزارةٍ بينَ حُبيباتِ التُّربةِ، تتحسّسُ طريقَها بينَ الصّخورِ وجذورِ الأشجارِ، حتّى غَطَّتْ مساحةً قَدْرُها تسعةُ كيلومتراتٍ مُربّعةٍ، وَيُقدَّرُ وَزْنُ هذا الكائنِ الخُرافيِّ بحوالي 600 طنٍّ، وبذلكَ يكونُ وَزْنُهُ أثقلَ مِنْ أربعةٍ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مِنَ الحيتانِ الزَّرقاءِ العملاقةِ مُجتمعةً، كما حسبَ العُلماءُ عُمْرَ هذا الفِطْرِ بنحوِ 2400 سنةٍ، أيْ أنّهُ بدأَ في النّموِّ نحوَ 350 سنةً قبلَ الميلادِ. ومازالَ هذا الفِطْرُ ينمو، وَيتغذّى، وَينمو، وَيتكاثرُ، مُحقّقًا رقمًا قياسيًّا لأكبرِ كائنٍ حَيٍّ على وَجْهِ الأرضِ حَجمًا، وَوَزْنًا، وَعُمرًا.

وَأهمُّ عَمليّةٍ يقومُ بها فِطْرُ «عيش غراب العسل» أنّهُ يُحَلّلُ المُخَلَّفاتِ النّباتيّةَ مِنْ أفرعِ الأشجارِ الميتةِ، والأوراقِ المُتساقطةِ، فتتحوّلُ هذِهِ المُخَلَّفاتُ إلى موادَّ بسيطةٍ قابلةٍ للذّوبانِ في الماءِ، فتمتصُّها جذورُ النّباتاتِ، وَتتغذّى عليها سائرُ الكائناتِ الحيّةِ الأُخرى، أمّا المُخَلَّفاتُ العضويّةُ فتتحوّلُ إلى «دَبال» تُحَسِّنُ قوامَ التُّربةِ، وتمدُّها بالعناصرِ الغذائيّةِ.

وهكذا تقومُ الفطريّاتُ بدورٍ مُهِمٍّ كَعُمّالِ نظافةٍ للبيئةِ، دونَ مَللٍ أَوْ كَللٍ، ودونَ إضراباتٍ تُطالِبُ بزيادةِ الأجورِ، وَتحديدِ ساعاتِ العملِ، وَتحسينِ ظروفِهِ.

إنّ فِطْرَ «عيش غراب العسل» يُبدي شَراسةً واضحةً تجاهَ الأشجارِ الحيّةِ أيضًا، وَيُهاجِمُها مُسبِّبًا لها أمراضًا خطيرةً، فإذا ماتَت الشّجرةُ تكوّنَتْ عليها ثمارُ «عيش الغراب» ذاتُ اللّونِ العسليِّ، وكذلكَ تفعلُ أنواعٌ أُخرى كثيرةٌ مِنْ فِطريّاتِ «عيش الغراب» الأُخرى الّتي لا تتردّدُ في مُهاجمةِ الخَشبِ الخامِ، والمُنتجاتِ الخَشبيّةِ، وأعمدةِ «التلفون والتّلغراف»، وَقُضبانِ السِّككِ الحديديّةِ، وَتدميرِها، وقد يؤدّي ذلكَ إلى عواقبَ وَخيمةٍ.

وهناكَ أنواعٌ مِنَ الفِطريّاتِ الأُخرى تُهاجِمُ النّباتاتِ الاقتصاديّةَ، وَتُسَبِّبُ لها أمراضًا خطيرةً لا حَصْرَ لَها، وَكَمْ أَدَّى ذلكَ إلى مَجاعاتٍ وَكوارثَ إنسانيّةٍ، لعلَّ أهمَّها تلكَ المجاعةُ الّتي حَدَثَتْ في إيرلندا عام 1845، حينما دَمّرَ نَوْعٌ مِنَ الفِطريّاتِ محصولَ البطاطسِ بكاملِهِ، فَلَمْ يَجِدَ النّاسُ ما يأكلونَهُ، فماتَ نحوَ مليونِ إنسانٍ جائعٍ، وهاجرَ مليونُ إنسانٍ آخرَ بحثًا عن الطّعامِ، وظهرَ عِلْمٌ جديدٌ هوَ عِلْمُ أمراضِ النّباتِ.

كما أنّ بعضَ الفِطريّاتِ الأُخرى تحتوي على موادَّ سامّةٍ تؤثّرُ على الجهازِ العصبيِّ المركزيِّ للإنسانِ، فإذا أكلَها إنسانٌ أَوْ حيوانٌ سَبّبَتْ لَهُ اضطرابًا في الدّورةِ الدّمويّةِ، وَتشنّجاتٍ عصبيّةً، وغرغرينا تنتجُ عن مَوْتِ الأنسجةِ، إلّا أَنَّ العُلماءَ اكتشفوا فوائدَ صحيّةً جَمّةً مِنْ هذِهِ السّمومِ، وأنتجوا منها عقاقيرَ توقِفُ النّزيفَ الدّمويَّ في أثناءِ الولادةِ، وَتُسرِّعُ من انقباضِ الرَّحِمِ، وَعودتِهِ إلى حَجْمِهِ الطّبيعيِّ، كما تُعالِجُ الصُّداعَ النِّصفيَّ، وهكذا اكتشفَ العِلْمُ الحديثُ مِنَ السّمومِ النّافعاتِ دواءً.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فإذا ما وَصلْنا إلى الفائدةِ الغذائيّةِ للأنواعِ الّتي تُؤْكَلُ مِنَ الفِطريّاتِ، وَجَدْنا أَنَّ فِطْرَ «عيش الغراب» يتميّزُ بقيمتِهِ الغذائيّةِ العاليةِ، فأكثرُ مِنْ نصفِ وزنِهِ الجافِّ يتكوّنُ مِنْ بروتيناتٍ حقيقيّةٍ كاملةٍ تُشبِهُ بروتيناتِ اللّحمِ والبيضِ واللَّبنِ، بَلْ هي أفضلُ منها لسهولةِ هضمِها، ولمحتواها القليلِ مِنَ الدّهونِ، وخلوِّها مِنَ (الكولسترول)، وليسَ هذا فقط، بَلْ إِنَّ الفِطْرَ يُعتبرُ صيدليّةً طبيعيّةً، فهو مَصدرٌ مُهمٌّ للأملاحِ المعدنيّةِ الّتي تُنشِّطُ العمليّاتِ الحيويّةَ في الجسمِ، وَتُحسِّنُ الدّورةَ الدّمويّةَ، وَيُساعدُ محتواها مِنَ الحديدِ على بناءِ (الهيموجلوبين)، بالإضافةِ إلى محتواهُ الغنّيِّ مِنَ الفيتاميناتِ والأنزيماتِ الهاضمةِ.

ومازالَتْ في مملكةِ الفطريّاتِ أسرارٌ وَعجائِبُ كثيرةٌ، فبعضُها يُضيءُ في اللّيلِ بضوءٍ أخضرَ، يُمكنُكَ أَنْ تقرأَ تحتَهُ الصّحيفةَ، فإذا ما انتهيْتَ مِنَ القراءةِ، وأرَدْتَ العودةَ إلى بيتِكَ يُمكنُكَ قَطْفُ حَبّةٍ منها لِتُضيءَ لكَ الطّريقَ، ثُمَّ يُمكنُكَ حينَ تصلُ إلى البيتِ أَنْ تطبخَ هذِهِ الحبّةَ؛ فتكونَ وَجْبةَ عَشاءٍ لذيذةً، وَلَنْ يُكلّفَكَ ذلكَ دفعَ فاتورةٍ للكهرباءِ أو الغذاءِ.

ومعَ ذلكَ فما زالَتْ مملكةُ الفِطريّاتِ عالَمًا مجهولًا، فنحن لا نعرفُ سوى 5.7٪ مِنْ جُملَةِ الفِطريّاتِ، وَإِنَّ ما نعرفُهُ عن سطحِ المَرّيخِ، وأعماقِ المحيطِ هوَ أكثرُ بكثيرٍ ممّا نعرفُهُ عن هذا الكائنِ البسيطِ التّركيبِ، والعميقِ التّأثيرِ، والواسعِ الانتشارِ، الّذي وَهبَهُ اللّهُ -سُبحانَهُ وتعالى- قُدراتٍ لا حَصْرَ لها، فاستطاعَ أَنْ يجعلَ مِنْ أفرادِهِ جنودًا تغزو النّباتاتِ جميعَها على سَطْحِ الأرضِ، وَسخّرَها لخدمةِ البشريّةِ، فتبارَكَ اللّهُ أحسنُ الخالِقينَ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تنميةُ التّفكيرِ

محمد محمود العلي

يلعب التفكير دورًا مهمًا في حياة الإنسان، وقد كَرّمه اللّهُ وميّزه على مخلوقاته بالعقل الّذي يعتبر من أبرز المكونات الشخصية للإنسان، وأداة التفكير الّتي لابد من تنميتها لتقوم بوظيفتها على أكمل وجه؛ لأن تنمية التفكير لدى الإنسان وإصلاحه تعد أساسًا في الإصلاح والتنمية.

فالتفكير ضرورة إنسانية وشرعية، بل فريضة إسلامية، حيث دعا القُرآن الكريم الإنسان إلى التفكر في ملكوت اللّه، وجعله سمة لأصحاب العقول الراجحة، ووصفهم: (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾) (آل عمران).

وبدون التفكير يفقد الإنسان إنسانيته، ويصبح كما قال تعالى عن الذين امتلكوا أدوات السمع والبصر والفهم، ولكنهم عطلوها: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾). (الأعراف).

فالتفكير سلوك هادف، وهو غاية يمكن الوصول إليها عن طريق التعلم والتدريب. لهذا اهتمت الدول بتربية التفكير، وأصبح في مقدمة أولوياتها عبر مؤسساتها التعليمية والتدريبية والإدارات العامة والخاصة، بما يتيح للمتعلم التمكن من المتطلبات المعرفية والوجدانية لمواجهة تحديات العصر المتنامية، وذلك بأن يكون الاهتمام بتعليم المتعلم كيف يفكر؟ أكثر من الاهتمام بماذا يفكر؟

إن حاجة الإنسان إلى تلبية متطلبات العصر، ومواكبة التطورات العلمية والمعرفية الّتي تصعب الإحاطة بها تفرض عليه تطوير قدراته وتنميتها لاكتشاف المعلومات ومعالجتها وفهمها وتفسيرها ونقدها، وإن ثقافة التفكير تعلي من قيمة العقل وتحقق قيمة التسامح الفكري والقبول بالآخر، وهذا بدوره يؤدي إلى خلق المواطن الواعي الّذي لا ينحرف

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بسـهولة وراء تيـارات هدامـة رافضـة للمجتمـع وللعصـر.

كمـا أن العولمـة الثقافيـة وسـهولة تعـرض بعضهـم للانبهـار، ومـن ثُـمَّ الانسـياق اللاعقلانـي وراء أفكار وثقافـات وأسـاليب حيـاة أخـرى لمجـرد كونهـا مختلفـة، وهنـا يأتـي دور التفكيـر فـي غربلـة هـذه الأفكار والاتجاهـات الّتي يتعـرض لهـا، ويبني موقفـه منهـا علـى أسـس واضحـة ومتينـة.

ويسـاعد التفكيـر علـى اتخـاذ قـرارات فـي مواقـف أخلاقيـة مهمـة تواجهنـا فـي حياتنـا الشـخصية والعمليـة، وخاصـة المواقـف الّتي لا يوجـد فيهـا نـص قانونـي محـدد. وإن حاجـة سـوق العمـل لنوعيـات جديـدة مـن الأفـراد الذيـن يتسـمون بالقـدرة علـى تحليـل المواقـف الّتي يتعرضـون لهـا بصـورة نقديـة وتقديـم الحلـول للمشـكلات المتعـددة الّتـي يفرضهـا واقـع الحيـاة المعاصـرة، إضافـة إلـى اعتمـاد الاقتصـاد العالمـي علـى آليـات السـوق وتشـجيع المبـادرة الفرديـة الّتي تحتـاج إلـى قـدرات خاصـة تسـاعد علـى تحليـل المعلومـات الاقتصاديـة المتاحـة وتوظيفهـا لمصلحـة الفـرد.

إن عولمـة المعرفـة والمشـكلات والأحـداث فرضـت صناعـة التفكيـر وإنتـاج الأفـكار علـى المجتمـع العالمـي، حتّـى إن بعـض الـدول انتقلـت مـن طـور تنميـة الثـروات الباطنيـة إلـى طـور تنميـة الثـروات الذهنيـة والعقليـة. يقـول أحـد المفكريـن اليابانييـن: «معظـم دول العالـم تعيـش علـى ثـروات تقـع تحـت أقدامهـا، وتنضـب بمـرور الزمـن، أمّـا نحـن فـي اليابـان فنعيـش علـى ثـروة فـوق أرجلنـا، تـزداد، وتعطـي بقـدر مـا نأخـذ منهـا».

ومـا أحوجنـا اليـوم نحـن العـرب فـي ظـل الظـروف الّتي تعصـف بنـا إلـى إسـتراتيجية وطنيـة فـي تنميـة التفكيـر وبنـاء الإنسـان الصالـح، نستلهمها مـن إرثنـا الحضـاري مـع الاسـتفادة مـن التجارب الرائـدة وإعطائهـا الصبغـة الّتي تعبّـر عـن هويتنـا وحضارتنـا، إسـتراتيجية قابلـة للتطبيـق، وقـادرة علـى إعـداد الإنسـان المفكّـر والفاعـل فـي حقـول العمـل والإدارة داخليًّـا، والمؤثّـر إقليميًّـا، ودوليًّـا، يعيـد للأمـة ألقهـا السّـالف.

تنطلـق هـذه الإسـتراتيجية مـن تنميـة التفكيـر ومهاراتـه، وذلـك بتوفيـر البيئـة التعليميـة والتدريبيـة، وتدريـس مناهـج التربيـة العلميـة القـادرة علـى إعـداد الأفـراد القادريـن علـى التفكيـر السـليم،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

والإعداد النفسي للمتعلم كالثقة بالنفس والمرونة والانفتاح الذهني وحب التغيير الإيجابي، والاعتراف بالخطأ، والاستماع إلى وجهة نظر الآخرين، وتجنّب التناقض والغموض والتواصل مع الآخرين. من جهة ثانية، الإدراك الحسي، بمعنى توجيه الحواس حسب الهدف، والاستماع الواعي، والملاحظة الدقيقة، والنظر للموضوع من زوايا مختلفة، وتخزين المعلومات، وتذكّرها بطريقة منظمة. ومن جهة أخرى تجنب أخطاء التفكير، بالابتعاد عن التمركز حول الذات، والقفز إلى النتائج، والابتعاد عن الأحكام الشخصية، والبحث عن حلول غير تقليدية. ولابد من تطويع العقل للموقف من خلال التعرف إلى الغرض من التفكير، وتحديد نمط التفكير الملائم للموقف، والاستعداد لتغيير نمط التفكير إذا تغير الموقف، هذا من جانب تنمية المهارات لدى المتعلم.

أمّا تنمية التفكير في هذه الإستراتيجية فيجب أن تقوم مؤسساتنا التعليمية والتربوية والتدريبية بتأمين المعلم أو المدرب المؤهل والفعال؛ لأنه يمثل أهم عناصر نجاح تعليم التفكير، والذي ينبغي أن يكون ملمًّا بخصائص التفكير الفعال ومهاراته المتنوعة، ومتابعة التطورات التربوية والمناهج التدريبية.

كما أنّه لابد من توفير البيئة التعليمية الملائمة لإثارة التفكير الفعّال لدى المتعلمين، كالقاعة الصفية، والوسائل التعليمية المتنوعة والحديثة، والمقاعد المريحة، والمراجع المتعددة، وطرائق التدريس والأنشطة التعليمية الّتي تتناسب والفروق الفردية، مع استخدام الحاسوب و(الإنترنت).

وأخيرًا التأكيد على استخدام التقويم وإجراءاته المتنوعة المتمركزة حول ضرورة قياس ما تعلمه الطالب، ولا يقتصر ذلك على الاختبارات الشفوية والتحريرية فقط، وإنما استخدام تقنيات أخرى كالملاحظة والسجلات التراكمية ومقاييس التقدير والمناقشة الجماعية والرسم البياني، والتقارير الفردية والجماعية.

كل ذلك لإعداد جيل قادر على التفكير ومواجهة المشكلات وتقديم الحلول، جيل يحافظ على هويته، ويؤثر في محيطه الإقليمي والعالمي، وينهض بالأمة لتضاهي الأمم المتقدمة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تطوير الذات

محمد بن علي شيبان العامري

كلُّ ما حولنا يبحث عن مستقبله.. لا يريد أن يقف مكتوف اليدين إزاء حاضره مكبّلًا بماضيه، فالأرض الجرداء تكظم صبرها حتّى ينزل المطر عليها.. فإذا سالت وديانها بالأمطار، اهتزّت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج.

اللّيلُ مهما بدا طويلًا ثقيلًا مدثرًا بعباءته السميكة السوداء، فإنّ الكون يمنّي النفس بنهار مُرفرفٍ مشرقٍ عذبٍ نديّ جميل تتفتّح فيه أسارير الحياة والكائنات، فالغدُ المشرقُ مستقبل، والخريف الّذي تتعرّى أشجاره من خضرتها اليانعة، وثمارها الشهيّة، وأزهارها البهيّة، يبدو للناظر كهياكل عظيمة ناشزة توحي بالموت والانتهاء، لكنّ الحدائق والرِّياض والمزارع والبساتين تؤمِّل نفسها بمستقبلٍ ربيعيٍّ زاهرٍ مثمر تعود فيه بسمة الحياة إلى كلّ هذا الموات، والفلّاح الّذي يمضي أوقاته تحت الشمس اللّاهبة، وتحت سياط البرد القارس، إنّما يدفعه مستقبلُ موسمه العامر بالغلال، لتحمّل هذا العذاب المستعذب، فالموسم مستقبله الضاحك الغنيّ العَطِر..

والأُمّ الّتي تنتظر تسعة أشهر بلياليها ونهاراتها وحملها الثقيل الّذي يوهن بدنها، وما تعانيه من مصاعب، يتجمّع مستقبلها كلّه في رؤية وليدها المنتظر النور، إنّها تولد بولادته.. ولولا إيمانها بالمستقبل المحفوف بالأمل لما عانت متاعب الحمل، ولا كابدت آلام المخاض، حتّى الدجاجة الّتي ترقد على بيضها أيّامًا معدودات يحدوها الأملُ في أن ترى صيصانها بألوانها الزاهية، تدرجُ من حولها مزقزقات..وأنت تقضي عامًا كاملًا على مقاعد الدراسة لتتقدّم خطوة نحو المستقبل، وفي كلّ عام دراسيّ تتّجه صوب مستقبلك العلمي والعملي شوطًا آخر..

هذا هو الكون، تطلّع إلى المستقبل كلّه، يغمره التفاؤل أنّ المؤمّل – وإن كان غيبًا – لكنّه سيأتي حاملًا بين طيّاته السعد والرحمة والبركة، ولذا قيل: «تفاءلوا بالخير تجدوه». فكم من مريضٍ نام ليلته وهو يمنّي النفس بالشفاء.. وكم من صاحب همّ بات وهو يرجو أن يطلع الصباح بما يفرِّج همّه.. وكم من مشكلة عويصة داخ فيها صاحبها لكنّه لم يعدم الأمل

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

في إيجاد الحلّ المناسب لها. (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ)، (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤) (من سورة الطّلاق). وباطمئنان نقول: لولا التفكير بالمستقبل والتطلّع نحوه لتوقّفت عجلة الحياة عن الدوران، ولجفّت ينابيع الحركة في الكائنات، ولتحوّل الكون إلى مقبرة واسعة.

لولا الأمل ما وضعت والدة ولدها، ولا غرس غارسٌ شجرًا، أي لم يفكّرا في المستقبل.. لا في مستقبل الولد الرّضيع، ولا في مستقبل الشجرة الرضيعة الّتي لاتزال شتلة فتيّة. إنّ حياتنا هي صفحات ثلاث: ماضٍ وحاضر ومستقبل، فأمّا الماضي، فصفحة انطوت بخيرها وشرّها ولم يبق منها إلّا تبعاتُها وذكرياتها الحلوة والمرّة، وأمّا الحاضر، فهو صفحة الأيّام الّتي نحن فيها بما يحيطها من يسر وعسر وآلام وأفراح وأعمال ومسؤوليّات وتوفيق وفشل، وأمّا المستقبل، فصفحةُ أيّامنا الآتية بما تحمل من آمال وتطلّعات، وفي الغالب ينظر كلٌّ منّا إلى هذه الأيّام نظرة أمل وتفاؤل واستبشار.

فبدون الأمل تصبح الحياة زنزانة ضيّقة لا نطيق العيش فيها لولا فسحةُ الأمل، فالماضي كان ذات يوم حاضرًا، والحاضر بعد مدّةٍ سيكون ماضيًا، وسيصبحُ المستقبلُ -ذات يوم- حاضرًا، فالمسافةُ بيننا وبين غدنا ليست بعيدة، وبقدر ما يكون الماضي والحاضر مشرقين تكون صورة المستقبل، لكنّ ذلك -كما سنرى- ليس شرطًا ضروريًا، فقد تحدث في حياتنا نقلات نوعية نكسر فيها موانع السير، ونزيح عقبات الطريق لنحلّق نحو المستقبل بأجنحة الأمل! وقد تأتي الرّياح بما لا تشتهي السُّفن، فربّما جاء الغد وقد تراجعنا، وربّما جاء وقد واجهتنا ضاغطة غيّرت الكثير من برامجنا ومشاريعنا على غير رغبة أو إرادة منّا.

إنّ الشعوب الّتي خطت خطوات واسعة وواثقة في مضمار العلوم والفنون والاقتصاد والثقافة هي شعوب أولت مستقبلها اهتمامًا بالغًا، ولم تقنع بما هو عليه أبناؤها من واقع ماديّ أو معنوي ناهض ومشرق، فاليابان نهضت من حطام وأطلال الدمار الشامل الّذي لحق بها جرّاء الحرب العالمية الثانية، باحثة عن مستقبل باهر، فكان لها ما أرادت، رغم تواضع إمكاناتها المادّية، والعالم اليوم -أينما اتّجه- يعنى بالمستقبل في أبحاثه ودراساته ومؤسّساته التخصّصية في هذا المجال الحيوي، ولقد سبق ديننا إلى ذلك في تأكيده على

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

المستقبل الأفضل من يوم الأُمّة وأمسها، ففي دعائهﷺ: «اللّهمّ.. واجعل الحياة زيادة لي في كلِّ خير»، دعوة مفتوحة للاستزادة من الخيرات والإبداعات والبركات، والتي تشمل كلّ إنتاج ينفع البشرية، ويخفِّف آلامها، ويصل بها إلى مراقي العزّة والازدهار والنهضة والتطوّر والمنافسة مع الأمم الأخرى في العلم والمعرفة والعمل الصالح، ولا يكون ذلك ممكنًا إلّا بجهودنا فرادى ومجتمعين.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مركز اتصال وزارة التربية والتعليم
اقتراح - استفسار - شكوى

80051115

04-2176855

www.moe.gov.ae

ccc.moe@moe.gov.ae